الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق

الله تبارك وتعالى

طه عبد الله العفيفي
خادم القرآن والسنة

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

الصفات الواجبة والمستحيلة
والجائزة في حق
الله
تبارك وتعالى

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٩٦٩٦/٩٣

الترقيم الدولي : 4 - 115 - 270 - 977

تجهيزات فنية : آر ـ تــك

العنوان : ٣٣٩ ش السودان

ت : ٣٤٧٢٥٥٥

طبع : آمون

العنوان : ٤ عطفة فيروز ـ متفرع من اسماعيل اباظة

ت : ٣٥٤٤٣٥٦ ـ ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م

تصميم الغلاف : صالح وحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾.

* قال رسول الله ﷺ

[تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا] .

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوما تفكروا فى الله عزوجل ، فقال النبى ﷺ :

[تفكروا فى خلق الله ، ولا تتفكروا فى الله ، فإنكم لن تقدروا قدره] .

قال العراقى : رواه أبونعيم فى الحلية بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

* * *

الإهـــداء

إلى الإخـوة المسلمين والأخـوات المسلمـات الذين يريدون أن يكونوا من عباد الله الحقيقين ، على أساس توحيدى سليم :

أقدم : (الصـفـات الواجبـة والمستحيلة والجائزة فى حق اللّه تبارك وتعالى) حتى يعرفوا من خلالها : من هو اللّه الواحد الأحد، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وحتى يكونوا بسبب هذه المعرفة - إن شاء الله تعالى - من أهل التـوحيـد الخالص الذى لافلاح ولانجاح فى الدينا والآخرة إلابه، واللّه ولى التوفيق ،،،

المؤلف

تقــديم هــام

أخى المسلم ـ أختى المسلمة :

فى ليلة من الليالى المباركة كنت ألقى محاضرة دينية بين المغرب والعشاء فى مسجد من مساجد الجمعية الشرعية ـ ناحية بين السرايات جيزة .

وكنت فى هذا الدرس قد ذكرت بأن الإمام عليا كرم اللّه وجهه وقف ذات يوم على المنبر ليخطب فسأله أحد الجالسين بين يديه عن مسألة من المسائل ، فقال : اللّه أعلم .. فتعجب هذا السائل ، ثم قال للإمام على كرم اللّه وجهه :

هذا مكان من يعلم ولايجهل .. فقال له الإمام :

هذا مكان من يعلم ويجهل ، أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان.

وكنت أقصد بهذا الكلام أن يتواضع أهل العلم ، فضلا عن طلابه ، وأن يدركوا تماما أن العلم بحر لا شاطئ له ، وأن اللّه تعالى وحده هو الذى يحيط بكل شىء علما .

ولكن يبدو أن كلامى هذا لم يعجب أحد الإخوة الحاضرين،

فأخذ يناقشنى فى موضوع الفوقية .

فقلت له : يا أخى إنه لا يصح أن نحدد مكانا لله تبارك وتعالى ؛ لأننا لو حددنا له مكانا لكان حادثا ، ولما كان إلها ، وهو سبحانه مخالف للحوادث ، وهو سبحانه كما قال عن نفسه فى قرآنه : « ليس كمثله شىء » .

وكاد اللقاء هذا ينتهى بفتنة ، ولكن اللّه سلم .

ثم حدث بعد ذلك وبعد أن عدت إلى بيتى أن أخذت أفكر فى هذا الموضوع الهام ، الذى كما رأيت ينبغى أن نضع فيه النقط على الحروف ؛ حتى لا يكون هناك زيغ أوضلال بهذا المعنى الكبير من مفهوم ، ولا سيما إذا كان يتعلق بالعقيدة التى هى الأساس فى هذا الدين الحنيف .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

يارب إن ذنوبى فى الورى كثرت

وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه

حب النبى وهذا القدر يكفينى

ثم رأيتنى بعـــد ذلك أتناول الجـــزء الأول من (الدين الخالص)[1] الذى قرأت فيه تحت عنوان : « علم التوحيد » بأنه لغة العلم بأن الشيء واحد، وشرعا إفراد المعبود ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا .

وأنه يعرف بمعنى الفن المدون بأنه علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية ، وهى التى يجب على كل مكلف ذَكَرٍ أو أنثى ، حر أو رقيق أن يعتقدها :

فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى والمستحيلة ، والجائزة فى حقه تعالى .

وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم ، عليهم الصلاة والسلام .

وأن يعرف ما جاء فى الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما .

وأن من لم يعرف ذلك فليس بمسلم ، ويخلد فى نار جهنم (والعياذ بالله) .

---

(١) وهو من أهم مؤلفات الإمام الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى ، رحمه الله تعالى .

* * ولهذا فقد رأيت من واجبى بصفتى عالما من علماء المسلمين المسئولين عنهم أمام اللّه تبارك وتعالى بما مَنَّ اللّه علىَّ مِنْ علم نافع أن أعمل على إنقاذهم ـ بقدر استطاعتى ـ من الخلود فى نار جهنم التى أمرنا اللّه تبارك وتعالى ـ نحن المؤمنين بصفة خاصة ـ أن نعمل على إنقاذ أنفسنا منها ، فقال:

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (١)

كما قال تعالى مشيرا إلى أهمية النجاة منها والفوز بدخول الجنة :

* ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ..﴾ (٢)

* * وذلك بتذكير إخوانى المسلمين ـ ذكورهم وإناثهم ـ بتلك الصفات الواجبة لله تعالى ، والمستحيلة ، والجائزة فى حقه تبارك وتعالى ، ثم بالصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق

---

(١) التحريم : ٦.

(٢) آل عمران – من الآية : ١٨٥ .

الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم بالصفات الخِلْقيَّه والخُلُقيَّة للرسول محمد ﷺ ، والصفات الخِلْقيَّه والخُلُقيّة للعشرة المبشرين بالجنة ، وصفات المؤمنين ، وصفات المتقين ، وصفات المنافقين ، وصفات العارفين . وصفات المتوكلين ، وصفات أهل الجنة ، وصفات أهل النار ، فى أجزاء متتابعة وفى مجموعة مباركة ، أطلقت عليها اسم (مجموعة الصفات) : التى أسأل اللّه تعالى أن ينفع بها كما نفع بمجموعة : (وصايا الرسول ﷺ) ومجموعة : (الحقوق الإسلامية) بالإضافة إلى الكتب الأخرى التى نفع اللّه تعالى بها كذلك ، والتى منها : (مكائد الشيطان) ، (مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة) و(مفاتيح السماء من مختارات الدعاء) و (ميراث رسول اللّه ﷺ) و(من : خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين) و (من أفعال الرسول ﷺ فى الطهارة والصلاة) و (أسباب السلامة من أهوال القيامة)..

هذا ، وإذا كنت قد أشرت إلى (مجموعة الصفات) المباركة التى أعمل ليلا ونهارا بتوفيق من اللّه تبارك على إتمامها ، فإننى أُذَكِّرُ الأخ المسلم والأختَ المسلمة بأننى قد انتهيت ـ

والحمـد للّه ـ من كـتـاب جـديد لن يقل أهمـيـة عن الكتب المذكورة ، وهو : (من سنن العبادات القولية والفعلية) .

ولسوف تقوم : (الدار المصرية اللبنانية) بطبع ونشر (مجموعة الصفات) والكتاب الأخير ، مع دعائى لها وللقائمين على إدارتها والمتعاملين معها والقارئين لها ـ بأن يوفقنا اللّه تعالى وإياهم لما يحبه ويرضاه ، حتى نكون بذلك أهلا لرحمته ومغفرته ، بل وبركـاته ونفحاته ، إنه تعـالى على كل شىء قـدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،،

غرة رجب ١٤١٣ هـ

٢٥ من ديسمبر ١٩٩٢ م

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

(من هو اللّه تبارك وتعالى ؟)

وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى الذى سنتعرف من خلاله على الصفات الواجبة ، والمستحيلة ، والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى ـ أرى أنه من الخير أولا كأساس لهذا الموضوع ، أن نعرف :

(من هو الله تبارك وتعالى ؟)

وحسبنا إذا أردنا أن نتعرف على هذا الإله العظيم .. أن نعيش بأرواحنا مع بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث القدسية لنرى كيف يحدثنا سبحانه وتعالى عن نفسه وعن آياته ، فيقول :

* ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[1] .

* ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] .

* ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ

(١) سورة الفاتحة : ٢-٤

(٢) البقرة : ٢٩

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا
بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) .

* ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ
يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى
ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى
ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

* ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ
وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) الرعد : ٢-٤ .

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)
وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ
اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

* ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن
بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

(١) النحل : ١٠-١٨ .

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا
أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾(1).

* ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ
الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا
أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ
الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن

(١) النحل ٧٨- ٨١ .

تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) .

* وهو : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

* وهو : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

* وهو : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ .

---

(١) الروم : ١٧-٢٧

(٢) الروم : ٤٠ .

(٣) الروم : ٤٨ - ٥٠ .

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (١) .

* وهو الله الذى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا
وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴾ (٢)

* وهو : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ
وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) .

(١) الروم : ٥٤ .
(٢) لقمان : ١٠-١١ .
(٣) غافر : ٦١-٦٥ .

* ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١) .

* ﴿ .. وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ
وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ
ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٢) .

* ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

---

(١) غافر : ٦٧ – ٦٨ .

(٢) الحديد : ١–٦ .

﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (١) .

* * وقبل أن نقف على (أسماء الله الحسنى) وما ورد فيها من أحاديث شريفة أرى أن أقف معك أولاً على بعض الأحاديث القدسية التي يتحدث فيها رب العزة سبحانه وتعالى عن نفسه فيقول :

* (**إنى أنا الله، لا إله إلا أنا ، من أقر لى بالتوحيد دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أَمِن مِنْ عذابى**) . رواه الشيرازى فى الألقاب عن على.

* (**أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسْماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته، ومن ثبتها ثبته ؛ إن رحمتى سبقت غضبى**) . رواه أحمد ، والبخارى وأبو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى عن ابن عوف ، والحاكم ، والخرائطى ، والخطيب عن أبى هريرة.

---

(١) الحشر : ٢٢-٢٤ .

* (**أنا الله ، خلقت العباد بعلمى ، فمن أردت به خيرا منحته خلقا حسنا، ومن أردت به سوءا منحته خلقا سيئا**) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر.

* (**أنا الله ، لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوبُ الملوك فى يدى ، وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وإن العباد إذا عصونى حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم**) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء.

* (**أنا العزيز ، من أراد عز الدارين فليطع العزيز**) رواه الخطيب البغدادى عن أنس .

* (**أوحى الله إلى إبراهيم : يا إبراهيم ، إنى عليم أحب كل عليم**) رواه ابن عبد البر معلقا .

* * هذا ، ويجدر بى بعد ذلك أن أعود ، إلى :

أسماء الله الحسنى

التى أمرنا اللّه تعالى أن نسميه ونذكره وندعوه بها فقال :

* (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا) (١).

والتى رغبنا الحبيب المصطفى صلوات اللّه وسلامه عليه فى حفظها فقال:

* **(إن للّه تسعة وتسعين اسما مَنْ حفظها دخل الجنة ، وإن اللّه وِترٌ يحُبُّ الوِتْرَ)** رواه الشيخان والترمذى عن أبى هريرة.

* وفى رواية : **(إن للّه تسعة وتسعين اسما : مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة)** :

أى (٢) : من حفظها وذكر الله بها واستحضر معناها واستشعر آثارها من الرجاء والخوف والخشية دخل الجنة إن شاء اللّه .. وهذا هو مراد الحديث لا حصر أسماء اللّه تعالى فى هذه الأسماء ، للحديث الآخر :

---

(١) جزء من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٢) كما جاء فى كتاب (التاج الجامع للأصول) ص ٩٣ .

* (**أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**) .

وكمالات الله تعالى من صفات وأسماء لا نهاية لها ، ولكنه تعالى ما كلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] . فله مزيد الحمد ووافر الشكر . والذى يعنينا الآن هو أن نقف على الأسماء التسعة والتسعين ، الواردة :

* عن أبى هريرة رضى الله عن النبى ﷺ ، أنه قال :

(إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة:

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ،

---

(١) صدر آخر آية فى سورة البقرة .

الرقيب، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور) .

رواه الترمذى وابن حبان والحاكم (١) .

ورواه الدارمى وزاد : كلها فى القرآن .

* وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه اللّه تعالى قال: سألت أبا جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التى من أحصاها دخل الجنة ، فقال :

---

(١)بسند غريب للترمذى ، ولغيره بسند صحيح .

هى فى القرآن ، ففى الفاتحة خمسة أسماء : يا الله ، يارب، يارحمن، يا رحيم ، يامالك .

وفى البقرة ثلاثة وثلاثون اسما : يامحيط ، ياقدير ، ياعليم، يا حكيم ، يا على ، يا عظيم ، يا تواب، يابصير، ياولى ، ياواسع ، ياكافى ، يارءوف ، يابديع ، ياشاكر ، ياواحد ، ياسميع ، ياقابض ، ياباسط ، ياحى ، ياقيوم ، ياغنى ، ياحميد ، ياغفور ، ياحليم ، ياإله ، ياقريب ، يامجيب ، يا عزيز ، يا نصير ، ياقوى ، ياشديد ، ياسريع ، ياخبير .

وفى آل عمران : ياوهاب ، ياقائم ، ياصادق ، ياباعث ، يامنعم ، يامتفضل .

وفى النساء : ياحسيب ، يارقيب ، ياشهيد ، يامقيت ، ياوكيل، ياعلى ، ياكبير .

وفى الأنعام : يافاطر ، ياقاهر ، يالطيف ، يابرهان .

وفى الأعراف : يا محيى ، يامميت .

وفى الأنفال : يا نعم الولى ، ويانعم النصير .

وفى هود : ياحفيظ ، يامجيد ، ياودود ، يافعال لما تريد .

وفى الرعد : ياكبير ، يامتعالى .

وفى إبراهيم : يامنان ، ياوراث .

وفى الحجر : ياخلاق .

وفى مريم : يافرد .

وفى طه : ياغفار .

وفى قد أفلح : يا كريم .

وفى النور : ياحق ، يامبين .

وفى الفرقان : ياهاد .

وفى سبأ : يافتاح .

وفى الزمر : ياعالم .

وفى غافر : ياقابل التوب ، ياذا الطول ، يارفيع .

وفى الذاريات : يارزاق ، ياذا القوة ، يامتين .

وفى الطور : يا بر .

وفى اقتربت : يا مقتدر ، يامليك .

وفى الرحمن : ياذا الجلال والإكرام ، يارب المشرقين ، يارب المغربين ، ياباقى ، يامعين .

وفى الحديد : يا أول ، ياآخر ، يا ظاهر ، ياباطن .

وفى الحشر : ياملك ، ياقدوس ، ياسلام ، يامؤمن ، يامهيمن ، ياعزيز ، ياجبار ، يامتكبر ، ياخالق ، يابارئ ، يامصور .

وفى البروج : يامبدئ ، يامعيد .

وفى الفجر : ياوتر .

وفى الإخلاص: يا أحد ، ياصمد ٠ أ٠هـ ٠

* وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه اللّه فى (تلخيص الخبير) تسعة وتسعين اسما من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا :

الله ، الرب ، الإله ، الواحـد ، الرحـمن ، الرحـيم ، الملك، القدوس ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ، المصور ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الحى ، القيوم ، العلى ، العظيم ، التواب ، الحليم ، الواسع ، الحكيم . الشاكر ، العليم ، الغنى، الكريم ، العفو ، القدير ، اللطيف ، الخبير ، السميع ، البصير ، المولى ، النصير ، القريب ، المجيب ، الرقيب ، الحسيب ، القوى ، الشهيد ، الحميد ، المجيد، المحيط ، الحفيظ ، الحق ، المتين ، الغفار ، القهار ، الخلاق ، الفتاح ، الودود ، الغفور ، الرءوف ، الشكور، الكبير ، المتعال ، المقيت ، المستعان ، الوهاب ، الحفى، الوارث ، الولى ، القائم ، القادر ، الغالب ، القاهر ، البر ، الحافظ ، الأحد ، الصمد ، المليك ، المقتدر ، الوكيل ، الهادى، الكفيل ، الكافى ، الأكرم ، الأعلى ، الرازق ، ذوالقوة، المتين ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذو الطول ، رفيع الدرجات ، سريع الحساب ، فاطر السموات والأرض ، بديع السموات والأرض ، نور السموات والأرض ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ٠ أ ٠ هـ ٠

* وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبى وغيرهم ، وعدها ابن العربى المالكى فى (أحكام القرآن) مرتبا لها على السور ؛ لكنه أخطأ فى بعض ما عده ...

* ومن أجمل الملاحظات التى أشار إليها صاحب كتاب (معارج القبول) قوله بعد ذلك :

واعلم أن أسماء اللّه عز وجل ليست بمنحصرة فى التسعة والتسعين المذكورة فى حديث أبى هريرة ، ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن ، بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ما أصاب أحدا قَطُّ هَمٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فِيَّ حكمك ، عدل فِيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علَّمْتَه أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ـ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى ـ إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرجا**) فقيل : يارسول اللّه ، أفلا نتعلمها ؟ فقال :

(**بلى ، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**) .

* واعلم أن من أسماء اللّه عزوجل ما لايطلق عليه إلا مقترنا بمقابله ، فإذا أُطْلِقَ وحده أوهم نقصا ، تعالى اللّه عن ذلك ، فمنها : المعطى المانع ، والضار النافع ، والقابض الباسط ، والمعز المذل ، والخافض الرافع . فلا يطلق على اللّه عزوجل المانع الضار القابض المذل الخافض ، كلا على انفراده ، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها ؛ إذ لم تطلق فى الوحى إلا كذلك ، ومن ذلك المنتقم لم يأت فى القرآن إلا مضافا إلى ذو ، كقوله تعالى «عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ»[1] أو مقيدا بالمجرمين كقوله تعالى : « إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ »[2]

* واعلم أنه قد ورد فى القرآن أفعال أطلقها اللّه عزوجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة ، وهى فيما سيقت فيه مدح وكمال ، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه فى غير ما سيقت فيه من الآيات ، كقوله تعالى :

---

(١) آل عمران ، من الآية : ٤

(٢) السجدة ، من الآية : ٢٢ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٣)

وقوله تعالى : ﴿ .. وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٤) .

ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى : مخادع ماكر، ناس ، مستهزئ ، ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، ولا يقال الله يستهزئ ، ويخادع ، ويمكر ، وينسى ـ على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

* وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقا ، ولا ذلك داخل فى أسمائه الحسنى ، ومن

(١) النساء : من الآية : ١٤٢ .

(٢) آل عمران : من الآية : ٥٤ .

(٣) التوبة – من الآية : ٦٧ .

(٤) البقرة : آخر الآية : ١٤ وجزء من الآية : ١٥

ظن من الجهال المصنفين فى شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى : الماكر ، المخادع ، المستهزئ ، الكائد ـ فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود ، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء ، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها فى الأسماء الحسنى، وقرنها بالرحيم الودود ، الحكيم ، الكريم ، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا ، بل تمدح فى موضع وتُذَمُّ فى موضع ، فلا يجوز إطلاق أفعالها على اللّه تعالى مطلقا ، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ، فكذلك بطريق الأولى لا يُشْتَقُّ له منها أسماء يسمى بها ، بل إذا كان لم يأت فى أسمائه الحسنى المريد والمتكلم ، ولا الفاعل ولا الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم ، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد ـ فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعى والآتى والجائى والذاهب والقادم والرائد والناسى والقاسم والساخط

والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التى أطلق تعالى على نفسه أفعالها فى القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى ؟ قلت : ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر فى بعض ماعده ابن العربى ، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا ، أما فى سياقهما من الآيات التى ذكرت فيها صفات الكمال ومدح وتوحد كما قال تعالى : ﴿ .. كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (1) . وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾(2). الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله، وأكبر مصيبة أن عد فى الأسماء الحسنى رابع ثلاثة ، وسادس

---

(1) الأنبياء – من الآية : ١٠٤ .

(2) الواقعه : ٦٣ و ٦٤ .

خمسة مصرحا قبل ذلك بقوله : فى سورة المجادلة اسمان فذكرهما. وهذا خطأ فاحش ، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقا ولا مفهوما ؛ فإن الله عزوجل قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا .. ﴾ [1] الآية .

وأين فى هذا السياق : رابع ثلاثة ، وسادس خمسة ؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول رابع ثلاثة فى نجواهم ، وسادس كل خمسة كذلك ، فإن الله تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كماهو مفهوم من صدر الآية ، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية ، والله تعالى أعلم .

* واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنا والتزاما ، فدلالة اسمه تعالى (الرحمن) على ذاته عز وجل مطابقة ، وعلى صفة الرحمة تضمنا وعلى الحياة وغيرها التزاما ، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى . وليست أسماء الله

(١) المجادلة — من الآية : ٧ .

تعالى غيره كما يقوله الملحدون فى أسمائه ، تعالى اللّه عما يقولون علوا كبيرا ، فإن اللّه عزوجل هو إلاله وما سواه عبيد ، وهو الرب وما سواه مربوب ، وهو الخالق وما سواه مخلوق ، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن ، وهو الآخر الباقى ، فليس بعده شيء ، وما سواه فانٍ . فلو كانت أسماء اللّه تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية ؛ إذ كل ما سواه كذلك ، تعالى اللّه كما يقول الظالمون علوا كبيرا .

* ثم يشير بعد ذلك فى (معارج القبول) إلى ملاحظة أخرى فيقول :

واختلف العلماء فى معنى قوله ﷺ (من أحصاها) فقال البخارى وغيره من المحققين : معناه حفظها ، وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى . وقال الخطابى : يحتمل وجوها :

أحدها : أن يعدها حتى يستوفيها ، بمعنى ألا يقتصر على بعضها ، فيدعو اللّه بها كلها ، ويثنى عليه بجميعها ، فيستوجب الموعود عليها من الثواب .

وثانيها : المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها ، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها . فإذا قال : (الرازق) وثق بالرزق ، وكذا سائر الأسماء .

ثالثها : المراد بها الإحاطة بجميع معانيها • وقيل أحصاها : عمل بها ، فإذا قال : (الحكيم) سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعا على مقتضى الحكمة ، وإذا قال : (القدوس) استحضر كونه مقدسا منزها عن جميع النقائص ، واختاره الوفاء بن عقيل..

* * ومن أجل هذا المفهوم الأخير كان لابد أن نقف على معانى تلك الأسماء الحسنى حتى نكون ـ إن شاء اللّه تعالى ـ من هؤلاء المحصين لها على أساس من هذا المفهوم التعبدى الصحيح الذى أرجو أن نكون به ـ إن شاء الله تعالى ـ من المؤمنين الصادقين الذين يعرفون الله تعالى حق المعرفه التى بها سنكون كذلك من الأغنياء الحقيقيين ، كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله :

من عرف اللّه فلم تُغْنِه
مَعْرِفَةُ اللهِ فذاك الشقى

وقد قرأت فى (التاج الجامع للأصول) [1] شرحا وافيا لأسماء اللّه الحسنى رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أزودك به ـ بتصرف يسير ـ فإليك :

شرح الأسماء الحسنى

حسب ترتيبها فى حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه :

١ - اللّه : علَم على الذات العلية الواجب الوجود دائما ، وقال بعضهم : إنه الاسم الأعظم ، وفيه مؤلفات خاصة لابن عطاء اللّه السكندرى وغيره :

* وقد ورد تحت عنوان (الاسم الأعظم) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا . يقول : اللهم إنى اسألك أنى أشهد أنك أنت اللـه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال : (**لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعىَ أجاب**) . رواه أصحاب السنن .

(١) للأستاذ الشيخ منصور على ناصف . أكرمه الله .

* وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : (**اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين**) :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (1) وفاتحة سورة آل عمران ﴿ الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (2) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى .

* وعن أنس رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم . فقال النبى ﷺ : (**لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سئل به أعطى**) رواه أبو داود والترمذى .

٢و٣ : الرحمن الرحيم: فالرحمن: أى المنعم بجلائل النعم. والرحيم أى المنعم بدقائق النعم؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فهما من الرحمة بمعنى مريد الإحسان أو محسن بالفعل ، والأمران واقعان ، فهما صفةُ ذاتٍ على الأول ،

---

(١) البقرة : ١٦٣

(٢) آل عمران : ١و٢ .

وصفةُ فِعْلٍ على الثانى .

٤- الملك : أى ذو الملك أو المتصرف فى ملكه بالإيجاد والإعدام ونحوهما فهو صفةُ ذاتٍ على الأول وصفة فِعْل على الثانى ، أى صفةُ نشأ عنها الفعل والتأثير .

٥- القدوس - بالضم أشهر من الفتح : أى المطهر والمنزه من سمات النقص والحدوث ، بل هو مبرأ عن أن يدركه حس أو يتصوره خيال أو يحيط به عقل ، فهو من أسماء التنزيه .

٦- السلام : أى ذو السلام من كل نقص وآفة فى ذاته وصفاته وأفعاله ، أو معطى السلامة والأمن لمن يشاء ، أو ذو السلام على المؤمنين فى الجنة : لقوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[١] فهو صفةُ ذاتٍ على الأول ، وصفة فعْلٍ على الثانى .

٧- المؤمن : أى المصدق لرسله بخلق المعجزات لهم ، أو المعطى الأمان أو المانح السكينة لمن يشاء .

---

(١) سورة يس : ٥٨ .

٨- المهيمن [١] : أى الرقيب المبالغ فى المراقبة والحفظ ، فهو العالم الشاهد لا يغيب عنه مثقال ذرة .

٩- العزيز : أى الغالب ، فمرجعه للقدرة المتعالية عن المعارضة ، أوالقوى الشديد ، أو عديم المثال ، فهو من أسماء التنزيه.

١٠- الجبار : أى هو المصلح لأمور عباده ، المتكفل بمصالحهم ، أو المتعالى عن أن يناله كيد كائد ، فهو من أسماء الأفعال على الأول ، ومن أسماء التنزيه على الثانى .

١١- المتكبر : أى هو من يرى غيره بالنسبة إليه رؤية مالك لعبيده ، وهو على إطلاقه لا يتصور إلا لله تعالى ، وهذا من أسماء الذات .

١٢و ١٣و ١٤ : الخالق ، البارئ ، المصور : وهى ألفاظ مترادفة على معنى واحد ، وهو الإيجاد من العدم والإبداع كما شاء . وقيل : الخالق : أى الموجد للمخلوقات من غير أصل،

---

(١) من هيمن الطائر أى نشر جناحيه على فراخه زيادة فى صيانتهم.

والبارئ ، أى الموجد لها مـن أصـل ، من البرء وهو خلوص الشيء من غيره تقصيا منه كبرء المريض من مرضه والمدين من دينه . والمصور ، أى المبدع لصور الأشياء لكل شيء صورة تميزه من غيره ، فالخالق : الموجد للإيجاد الأول ، والبارئ: المحدث له فظهر، والمصور : الذى سواه فكساه صورة تناسبه. قال تعالى:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ (1) .

فالثلاثة على الترتيب الواقعى ، والاثنان الأخيران كالتفصيل للأول .

١٥- الغفار : أى كثير الغفر وستر القبائح على العباد بدون مؤاخذة، فضلا منه تعالى .

١٦- القهار : أى الذى كل مخلوق فى قبضته ومسخر لقضائه ومقهور بقدرته .

١٧- الوهاب : أى كثير النعم دائم العطاء والهبات .

---

(١) سورة الأعلى : ١، ٢ .

١٨- الرزاق : أى خالق الأرزاق وأسبابها كلها ومفيضها على عباده، وما قبله إلى الخالق (١) من أسماء الأفعال .

١٩- الفتاح : أى الحاكم بين العباد ، أو الناصر لمن شاء ، أو من يفتح خزائن رحمته لعباده ، قال تعالى :
﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (٢) .

فهو اسم ذات على الأول ، واسم فعل على ما بعده .

٢٠- العليم : أى الذى علم ما كان وما يكون أولا وآخراً ظاهرا وباطنا فى الملك والملكوت ؛ لأنه خلق الأشياء كلها ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٣) .
فالعلم صفة كشف للذات العلية .

٢١و٢٢ : القابض ، الباسط : أى مضيق الرزق على من شاء وموسعه على من شاء ، أو قابض الأرواح من الأشباح

---

(١) أى ما قبله إلى اسم (الخالق) .

(٢) فاطر ، من الآية : ٢ .

(٣) الملك : ١٤ .

لموتها وناشرها بالأشباح لحياتها ، أو قابض للقلوب بإضلالها ، وباسط لها بهداها ورشدها ، فهما من صفات الأفعال .

٢٣ و ٢٤ : الخافض ، الرافع : أى من يخفض القسط ويرفعه، أو من يخفض الكفار والفجار بالخزى والذل والصغار وعذاب النار ، ويرفع الأبرار بالإجلال فى دار السلام .

٢٥ و ٢٦ : المعز ، المذل : أى المعز لمن شاء بتوفيقه للفعل المليح ، والمذل لمن شاء يهديه للقبيح ، فهو المعز لمن شاء إعزازه ، والمذل لمن شاء إذلاله ، فهو من صفات الأفعال .

٢٧ - السميع : أى الذى يسمع كل شىء من الأصوات وغيرها بدون حاسة .

٢٨- البصير : أى الذى يبصر كل شىء ولو صوتا بدون حاسة ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١).

---

(١) الشورى ، من الآية ١١ .

فهما صفتان ينكشف بهما كل شيء انكشافا تاما كصفة العلم .

٢٩ - الحكم : أى الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ، فمرجعه للقول الفاصل بين الحق والباطل ، والبر والفاجر .. المجازِى كل نفس بما عملت .

٣٠ - العدل : أى العادل المبالغ فى العدل ، فهو من صفات الأفعال .

٣١ و ٣٢ - اللطيف ، الخبير : أى اللطيف بأوليائه ، الخبير بهم، أو اللطيف العالم بخفيات الأمور ودقائقها ، والخبير : أى العليم ببواطن الأشياء ، فهما من صفات الكشف ، أو اللطيف العالم بالخفيات ، المتعالى عن أن يحس فهو من صفات التنزيه .

٣٣- الحليم : أى الذى لا يستفزه غضب ، ولايحمله على استعجال عقوبة ، فمرجعه التنزيه عن العجلة .

٣٤- العظيم : أى البالغ أقصى مراتب العظمة فلا يتصوره عقل ،

ولا تحيط بكنهه بصيرة ، فمرجعه التنزيه والتعالى عن إحاطة العقول بكنه ذاته جل شأنه وعلا .

٣٥ – الغفور : أى كثير الغفران .

٣٦ – الشكور : أى الذى يعطى الجزيل على العمل القليل ، فهما من صفات الأفعال .

٣٧ – العلىّ : أى البالغ فى علو الرتبة بلا نهاية ، فما من شىء إلا وهو منحط عنه تعالى ، فهو من الأسماء الإضافية .

٣٨ – الكبير : أى الكبير فى كل شىء ؛ لأنه أزلى وغنى على الإطلاق ، أو الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول ، فهو من أسماء التنزيه .

٣٩– الحفيظ : أى الذى يحفظ الأشياء من الزوال والاختلال ما شاء ذلك ، ويحفظ على العباد أعمالهم حتى يجزيهم عليها بفضله .

٤٠ – المقيت : أى خالق الأقوات بدنية وروحانية ، وموصلها للأشباح والأرواح ، فهو وما قبله من صفات الأفعال .

٤١- الحسيب : أى الكافى لعبده من أحسبنى أى كفانى ، وحسبى الله أى كافينى ، أو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة، فهو صفة فعل على الأول والثانى إن جعلت المحاسبة مكافأة ، وإن جعلت معاتبة وتعدادا للأعمال كان مرجعه للقول .

٤٢- الجليل : أى المتصف بصفات الجلال ، فهو من صفات التنزيه كالقدوس . قال الرازى رضى الله عنه : الفرق بينه وبين الكبير والعظيم ، أن الكبير الكامل فى الذات ، والجليل: الكامل فى الصفات ، والعظيم الكامل فيهما .

٤٣ - الكريم : أى المتفضل المعطى من غير سؤال ولا عوض، واللطيف فى العتاب ، والمقدس عن النقائص ، وكريم الفعال والخلال ، فهو فى الكثير صفة فعل .

٤٤- الرقيب : أى الذى يراقب الأشياء ويلاحظها ، فلا يغيب عنه

مثقال ذرة .

٤٥- المجيب : أى الذى يجيب الداعى إذا دعاه قال تعالى :
﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ (١)

٤٦ - الواسع : أى المحيط بكل شيء علما ، أو الجواد الذى عمت رحمته كل مؤمن وكافر وكل بر وفاجر ، أو الغنى الكامل . وقال بعض العارفين « الواسع : من لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه ، ولا حد لذاته وأسمائه وصفاته جل شأنه وعلا . »

٤٧- الحكيم : أى ذو الحكمة ، وهى كمال العلم وإحسان الفعل وإتقانه ، أو هو صفة مبالغة فى الحاكم ، فهو على هذا مرجعه للقول ، وعلى ما قبله مركب من صفة ذات وصفة فعل .

٤٨- الودود : أى الذى يحب الخير لكل خلقه ، ويحسن إليهم فى كل الأحوال ، ولا سيما أولياؤه ، فهو من صفات الذات والأفعال .

---

(١) غافر - من الآية : ٦٠ .

٤٩ ـ المجيد : أى الماجد البالغ فى المجد والشرف ، أو الرفيع العظيم القدر، أو الجزيل فى العطاء ، فهو صفة تنزيه أو صفة فعل .

٥٠- الباعث : أى باعث الرسل للأمم ، وباعث الهمم للترقى فى ساحات التوحيد ، وباعث من فى القبور ، فهو من صفات الأفعال .

٥١ - الشهيد [١] : أى العالم بكل مخلوق ، الحاضر معه فى كل مكان وزمان ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٢] أو من يشهد على خلقه يوم القيامة ، فمرجعه على هذا للقول، وعلى الأول للعلم ـ الحق ـ أى الثابت الذى لا يتحول، أو المظهر للحق ، أو الموجد للشىء كما تقتضيه الحكمة ، فهو صفة ذات على الأول ، وصفة فعل على ما بعده .

٥٢ ـ الحق : أى الثابت الذى لايتحول ، أو المظهر للحق ، أو الموجد للشئ كما تقتضيه الحكمة ، فهو صفة ذات على

(١) من الشهود والحضور .

(٢) الحديد ، من الآية : ٤

الأول وصفة فعل على ما بعده .

٥٣ ـ الوكيل : أى القائم بأمور عباده وتسخير ما يحتاجون إليه ، أو الموكول إليه تدبير الخلائق ، فهو صفة فعل .

٥٤ و ٥٥ ـ القوى ، المتين : أى القوى ذو القدرة التامة البالغة للكمال ، والمتين ، أى البالغ فى الشدة من المتانة ، وهى شدة الشىء واستحكامه ، فمرجعها لكمال القدرة وشدتها .

٥٦ ـ الولى : أى المحب الناصر المتولى أمر خلقه .

٥٧ ـ الحميد : أى المحمود المستحق لكل ثناء ؛ لأنه الموصوف بكل كمال ، المولى لكل نوال ، فهما من صفات الذات والأفعال .

٥٨ ـ المحصى : أى الذى أحصى بعلمه كل شيء ، أو القادر الذى لايشذ عنه شىء ، فهو صفة ذاتٍ أو صفة فعْلٍ .

٥٩ و ٦٠ ـ المبدئ ، المعيد : أى الذى أظهر الأشياء من العدم ، والذى يعيدها بعد العدم ، قال تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [1] .

٦١ و ٦٢ ـ المحيى ، المميت : أى الذى خلق الحياة فى كل حى ، وخلق الموت فى كل من أماته ، قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [2] فهذان واللذان قبلهما من أسماء الأفعال.

٦٣ - الحى : أى ذو الحياة الدائمة ، وهذه صفة قائمة بذاته تصح له الاتصاف بكل صفة .

٦٤ - القيوم : أى القائم بنفسه ، والمقيم لغيره ذاتا وتدبيرا.

٦٥ -الواجد : أى الذى يجد كل ما أراده فلا يعوزه شىء ، أو الغنى المطلق .

٦٦ - الماجد : أى من المجد والشرف كالمجيد ، ولكنه أبلغ منه.

---

(١) الأعراف، من الآية : ٢٩

(٢) الملك : ٠٢.

٦٧ - الواحد : أى الذى لا ينقسم بحال ، فهو واحد بذاته وصفاته وأفعاله ، وفى نسخة زيادة الأحد ، وهو قريب من الواحد جل وعلا .

٦٨ - الصمد : أى السيد الذى يصمد ويفزع إليه فى الشدائد، أو الذى لا يطعم ، أو المنزه عن الآفات، أو الباقى الذى لا يزول ، فهو من أسماء الذات أو التنزيه .

٦٩ و ٧٠- القادر ، المقتدر : أى ذو القدرة البالغة ، إلا أن المقتدر أبلغ لزيادة المبنى .

٧١ و ٧٢- المقدم ، المؤخر : أى الذى يقدم بعض الأشياء على بعض فى الوجود ، كتقديم الأسباب على مسبباتها ، أو فى الشرف والقربة ، كتقديم الأنبياء والصالحين على مَنْ عداهم ، أو فى المكان ، كتقديم أجساد علوية على سفلية ، أو فى الزمان، كتقديم أطوار وقرون بعضها على بعض كما قضت حكمته العلية، فهما من

أسماء الأفعال .

٧٣ - الأول : أى القديم السابق على كل شىء .

٧٤ - الآخر : أى الباقى وحده بعد فناء كل شىء ، فهو أول بلانهاية

٧٥ - الظاهر: أى الجَلىُّ وجوده بآياته الباهرة .

٧٦ - الباطن : أى الخفى بِكُنْهِ ذاته عن نظر الخلائق إليه .. الظاهر فليس فوقه شىء ، والباطن فليس دونه شىء ... فهذه الأربعة [1] من أسماء الذات .

٧٧ - الوالى : أى الذى تولى كل شىء وملكه ، فمرجعه للقدرة .

٧٨ - المتعالى : أى المرتفع عن النقائص ، البالغ فى العلاء قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [2] فمرجعه للتنزيه .

---

(١) أى الأول والآخر والظاهر والباطن .

(٢) الإسراء ، من الآية : ٤٣ .

٧٩ – البر : أى المحسن العظيم .

٨٠ – التواب : أى الذى وفق المذنبين للتوبة وقَبِلَها .

٨١ – المنتقم : أى المعاقب للظلمة والعصاة الشاردين .

٨٢ – العَفُوّ : أى الذى يمحو السيئات عمن تاب إليه ، فهو أبلغ من الغفور ؛ لأن الغفر معناه الستر .

٨٣ – الرءوف : أى شديد الرأفة والرحمة ، فهو أبلغ من الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١)

٨٤ ـ مالك الملك : أى الذى يجرى الأمور فيه كما يشاء ، لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .

٨٥ ـ ذو الجلال والإكرام ـ أى الذى لا شرف ولا كمال إلا له وحده ، ولا كرامة ولامكرمة إلا وهى منه تعالى .

---

(١) الشورى : ٢٥ .

٨٦ ـ المقسط : أى العادل الذى ينصف المظلومين ، ويكسر شوكة الظالمين .

٨٧ - الجامع : أى المؤلف بين شتات حقائق مختلفة ، وجامع الناس ليوم القصاص ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ .. ﴾ (١). - فهذه التسعة (٢) من صفات الأفعال .

٨٨ - الغنى : أى المستغنى بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما عداه ، المفتقر إليه كل ماسواه ، فهو من صفات التنزيه .

٨٩ - المغنى : أى الذى يغنى بفضله من شاء من عباده .

٩٠ - المانع : أى الذى يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن أبدان وأموال وأديان .

---

(١) آل عمران : من الآية ٩

(٢) وهى : البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع .

٩١ و ٩٢ - الضار ، النافع : وهما وصفان بتمام القدرة ، فلا ضر ولا نفع ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادته ، قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(١) ولكن الأدب أن ينسب الشر للعبد، والخير لله ، قال تعالى : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٢) .

٩٣ - النور : أى الظاهر بنفسه المظهر لغيره .

٩٤ - الهادى : أى الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى وأحب من شاء فهداه للخير .

٩٥ - البديع : أى المبدع الذى يأتى بما لم يُسْبَقْ إليه ، أو الذى لا نظير له بوجه من الوجوه ، فهذه الأسماء السبعة (٣) من صفات الأفعال إلا البديع بالمعنى الثانى فمن صفات التنزيه .

---

(١) النساء ، من الآية : ٧٨ .

(٢) النساء ، من الآية : ٧٩ .

(٣) وهى : الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع .

٩٦ ـ الباقى : أى الدائم الوجود فلا يناله فناء .

٩٧ ـ الوارث: أى الباقى بعد فناء الموجودات فتبقى بيده الأملاك بعد فناء الملاك كما كانت قبل خلقهم .

٩٨ ـ الرشيد : أى المرشد لعباده ، أو الذى تجرى تدابيره لغايتها على السداد بلا استشارة ولا إرشاد .

٩٩ ـ الصبور: أى الذى لا يعاجل بالقصاص من عصاه ، أو الذى لا يسرع بشىء قبل أوانه ، وهذا أهم من سابقه.

ولهذه الأسماء الرفيعة معان وأسرار لا يعلمها إلا الله تعالى ومن ارتضاهم من عباده الأخيار الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. آمين .

ولقد تأثرت كثيرا بكلام جامع فى مقدمة كتاب (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد) [١] يتحدث فيها مؤلفه رحمه الله تعالى حول أسماء الله الحسنى

---

(١)تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمى (رحمه الله تعالى) طبعة دار الأرقم، جـ١

بأسلوب يؤكد صلته بالله تبارك وتعالى .. وقد رأيت ـ أخا الإسلام ـ كتمهيد لما سنقف عليه بعد ذلك من (صفات واجبة ومستحيلة وجائزة فى حق هذا الإله العظيم) ـ أن أزودك بهذا القول المبارك الذى أرجو أن يكون كذلك سببا فى صلتك بالله تبارك وتعالى ، فإليك :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ .. ﴾ (١) .

وما كان معه من إله ، الذى لا إله إلا هو ولا خالق غيره، ولا رب سواه ، المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾(٢) عالم الغيب والشهادة الذى استوى فى علمه ما أسر العبد وما أظهر ، الذى علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى

---

(١) الإسراء : من الآية ١١١ .

(٢) الحج : ٦٢ .

ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ ﴾ (١) ، ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ ﴾ (٢) . كيف لا وهو الذى خلق وقدر ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (٣) رحمن الدينا والآخرة ورحيمهما ، الذى كتب على نفسه الرحمة ، وهو أرحم الراحمين ، الذى غلبت رحمته غضبه ، كما كتب ذلك عنده على عرشه فى الكتاب المبين ، الذى وسعت رحمته كل شىء، وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٤).

الملك الحق الذى بيده ملكوت كل شىء ، ولا شريك له فى ملكه ولا معين ، المتصرف فى خلقه بما يشاء من الأمر والنهى والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال،

---

(١) يونس : من الآية ٦١ .

(٢) الحديد : من الآية ٤ .

(٣) الملك : ١٤.

(٤) الروم : ٥٠.

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ، ولا معقب لحكمه ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ ...وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) . القدوس السلام الذى اتصف بصفات الكمال ، وتقدس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال . حرام على العقول أن تصفه ، وعلى الأوهام أن تكيفه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

المؤمن الذى آمن أولياءه من خزى الدينا ، ووقاهم فى الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم فى هذه الدنيا حسنة ، وسيحلهم دار المقامة فى جنة عالية ، المهيمن الذى شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، لا تخفى

---

(١) الأعراف ، من الآية : ٥٤ .

(٢) الأنعام ، من الآية : ٦٢ .

(٣) المائدة : من الآية ١٨ .

(٤) الشورى ، من الآية : ١١ .

عليه منهم خافية ، إنه بعباده لخبير بصير . العزيز الذى لا مغالب له، ولا مرام لجنابه ، الجبار الذى له مطلق الجبروت والعظمة ، وهو الذى يجبر كل كسير مما به ، المتكبر الذى لا ينبغى الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن نازعه صفة منهما أحل به الغضب والمقت والتدمير . الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء فى أى صورة شاء من أنواع التصوير، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) ، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

الغفار الذى لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة ، القهار الذى قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره ، الوهاب الذى كل موهوب وصل إلى خلقه من بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة ، الرزاق الذى لا تنفد خزائنه

---

(١) التغابن : ٢ و ٣ .

(٢) لقمان : ٢٨ .

ولم يفض ما في يمينه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير يرزق كل ذى قوت قوته ، ثم يدبر ذلك القوت فى الأعضاء بحكمته تدبيرا متقنا محكما ، يرزق من هذه الدينا من يشاء من كافر ومسلم أموالا وأولادا وأهلا وخدما ، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته ، قضى ذلك قضاء حتما مبرما ، وأشرف الأرزاق فى هذه الدار ما رزقه عبده على أيدى رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير . الفتاح الذى يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم ، يفتح على هذا مالا ، وعلى هذا ملكا ، وعلى هذا علما وحكمة ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] ، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] ، العليم الذى أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير . علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم

---

(١) الحديد ، من الآية : ٢١ .

(٢) فاطر : ٢ .

وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو من أهل النار فى العذاب المهين ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

ما من جبل إلا ويعلم ما فى وعره ، ولا بحر إلا ويدرى ما فى قاعه ﴿ ... وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢) ، القابض الباسط ، فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه ، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه ، وكذا له القبض والبسط فى أعمال عباده وقلوبهم ، كل ذلك إليه ؛ إذ هو المنفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير . الخافض الرافع ، الضار النافع ، المعطى المانع ، فلا رافع لمن خفضه ، ولا خافض لمن

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) فاطر : من الآية ١١ .

رفعه ، ولا نافع لمن ضره ، ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى، ولا معطى لمن هو له مانع ، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه ، أو ضر من هو نافعه ، أو إعطاء من هو مانعه ـ لم يك ذلك فى استطاعتهم بواقع ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، المعز المذل الذى أعز أولياءه المؤمنين فى الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القديمة المتظاهرة ، وأذل أعداءه فى الدارين ، وضرب عليهم الذلة والصغار ، وجعل عليهم الدائرة ، فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولى ولا نصير . السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى ، القائل لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[2] فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبا :﴿ .. وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾[3] ،

(١) الأنعام : ١٧ .

(٢) طه – من الآية : ٤٦ .

(٣) طه : من الآية ٦١ .

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1]. الحكم العدل في قضائه وقدرته وشرعه وأحكامه قولا وفعلا : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] فلا يحيف في حكمه ولا يجور ﴿ . وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] الذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما ، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفى الحديث : (**إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[4]، وهو الذى يضع ﴿... ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا .. ﴾[5] بل يحصى عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير.(اللطيف) بعباده معافاة وإعانة وعفوا ورحمة وفضلا وإحسانا ، ومن معانى لطفه : إدراك أسرار الأمور ؛ حيث أحاط بها خبرة وتفصيلا .

---

(١) الأنعام : ١٠٣ .

(٢) هود ، من الآية : ٥٦

(٣) فصلت : من الآية ٤٦.

(٤) هود : ١٠٢ .

(٥) الأنبياء : من الآية ٤٧ .

وسرا وإعلانا ، (الخبير) بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم : ماذا عملوا ، وكيف عملوا ، وأين عملوا، ومتى عملوا حقيقة وكيفية ومكانا وزمانا ، ﴿ .. إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [1] . (الحليم) فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعاقبهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم، إنه هو التواب الرحيم ، الذى اتصف بكل معنى يوجب التعظيم ، وهل تنبغى العظمة إلا لرب الأرباب ، الذى خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذل لعزته وكبريائه كل كبير . (الغفور الشكور) الذى يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافا كثيرة ، ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد . أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير ، (العَلِىّ) الذى ثبت له كل معانى العلو ، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات ، الذى استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنا من جميع المخلوقات ،

---

(١) لقمان : من الآية ١٦ .

كما أخبر بذلك عن نفسه فى كتابه ، وأخبر عنه رسوله ﷺ فى أصح الروايات، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير . (الكبير) الذى كل شيء دونه ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، كما أخبر بذلك عن نفسه نصا بينا محكما ، (الحفيظ) على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء الذى ﴿ ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾[1] . حفظ أولياءه فى الدنيا والآخرة ، ونجاهم من كل أمر خطير . (المغيث) لجميع مخلوقاته ، فما استغاثه ملهوف إلا نجاه . (الحسيب ، الوكيل) الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا اعتصم به المؤمن إلا حفظه ووقاه ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[2] فنعم المولى ونعم النصير . (الجليل) الذى جل عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال ، (الجميل) الذى له مطلق الجمال فى الذات والصفات والأسماء والأفعال ،

(١) البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٢) الطلاق ، من الآية : ٣

(الكريم) الذى لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا فى صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال ـ ﷺ ـ ومن كرمه أن يقابل الاساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير .

(الرقيب) على عباده بأعمالهم ، (العليم) بأقوالهم وأفعالهم، (الكفيل) بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم ، (المجيب) لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير (الواسع) الذى وسع كل شىء علمه ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرما وحلما ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] .

(الحكيم) فى خلقه وتدبيره إحكاما وإتقانا ، والحكيم فى شرعه وقدره عدلا وإحسانا ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ومَنْ أكبر مِن الله شهادة وأوضح دليلا ، وأقوم برهاناً . فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل ، فله الملك وله

---

(١) الأنعام : ١٠٣ .

الحمد وهو على كل شئ قـدير . (الودود) الذى يحب أوليـاءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه فى محكم الآيات (المجيب) لدعوة الداعى إذا دعاه فى أى مكان كـان وفى أى وقت من الأوقات ، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهـب الهم ، ويفـرج الكـرب، ويستر العيب وهو الستير . (المجيد) الذى هو أهل الثناء كما مَجَّدَ نفـسه ، وهو المُمَـجَّدُ على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد . (الباعـث) الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ؛ إنه الفعـال لما يريد . (الشـهيـد) الذى هو أكبـر من كل شيء شهـادة، وكفى بالله شهيداً ، هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير . (القوى المتين) الذى لم يقم لقـوته شيء ، وهو الشـديد المحـال ، الولى للمؤمنين ، فلا غالب لمن تولاه ، وإذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (الحـمـيـد) الذى ثبت له جـمـيع أنوع المحامد، وهل يثبت الحمد إلا لذى العزة والجلال ، فله الحمد كما يقول وخيرا مما نقول ، ولا نحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى

على نفسه ، وكيف يحصى العبد الضعيف ثناء على العلى الكبير .

(المحصى) الذى أحصى كل شيء عددا وهو القائل :

﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (1) (المبدئ ، المعيد) الذى قال وهو أصدق القائلين : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (2) ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (3) وأنّى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نصير.

(المحيي المميت) الذى انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام ، الحى الدائم الباقى الذى لا يموت وكل ما سواه زائل ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ

---

(1) يس : من الآية ١٢.

(2) الأنبياء ، من الآية : ١٠٤

(3) الروم ، من الآية : ٢٧

﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[1] (القيوم) الذى قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، فلا يحتاج إلى شريك له فى إلـهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا نِدٌ ولا شبيه ولا كفؤ ولا عديل. (الصمد) الذى يصمد إليه جميع الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم ، فهو المقصود إليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب ، فإليه منتهى الطلبات ، ومنه يُسْأَلُ قضاء الحاجات ، وهو الذى لا تعتريه الآفات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . فهو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى صفات الكمال ، ولا تنبغى هذه الصفات لغير الملك الجليل . (القادر المقتدر) الذى ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]، وما كان اللّه ليعجزه من شيء فى السموات ولا

---

(١) الرحمن : ٢٦و٢٧ .

(٢) مريم ، من الآية : ٣٥.

فى والأرض إنه على كل شيء قـدير . (المقدم المؤخر) بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفـق ما قـدره وسـبق علمه وتمت به كلمتـه بلا تبديل ولا تغيير ، (الأول) فليـس قبـله شـيء و(والآخـر) فليس بعـده شيء ، (والظاهر) فليس فـوقـه شيء ، (والباطن) فليس دونه شيء،هكذا فسره البشير النذير . ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ (الولى) فلا منازع له ولا مضاد . (المتعالى) عن الشركـاء والوزراء والنظراء والأنداد ، (البر) وصـفـا وفعـلا ، ومِنْ بِرّه المنٌّ عـلى أوليائه بإنجائهم من عذابه كـمـا وعدهم على ألسنة رسله ، إنه لا يخلف الميـعـاد ، (التـواب) الذى يـرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير . (المنتقم) الذى لم يقم لغضـبـه شيء وهـو شديد العقـاب والبطش والانتـقـام (العـفـو) بِمنّه وكـرمـه عـن الذنوب والآثام ، (الرءوف) بالمؤمنين ، ومن رأفتـه بهم أن نزل على عـبـده آيات مـبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام [1] ، فقال تعالى :

(١) الحمام بكسر الحاء : أى الموت .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) .

(مالك الملك) يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء . (ذى الجلال والإكرام) والعزة والبقاء ، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء ، (المقسط) الذى أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير . (الجامع) لشتات الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن اللّه لا يخلف الميعاد ، (الغنى المغنى) فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد فى ملكه طاعة الطائعين ، ولاتنقصه معصية العاصين من العباد ٠ وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عن بابه طرفة عين ، وهو الكفيل

---

(1) التحريم : ٨.

بهم رعاية وكفاية ، وهـو الكريم الجواد ، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص ، وقـوى وضـعيف ، وشـكور وكفور ، ومأمور وأمير. نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه ، وقال ﷺ مستعيذا به : (**أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصـلح عـليه أمـر الدنيا والآخرة ـ أن يحل بى غضبك أو ينـزل بى سـخطك ، لك الْعُـتْبَـى حـتى ترضى، ولا حـول ولاقـوة إلا بالله**) . فبصـفـات ربنا تعالى نؤمن ، ولكتـابه وسنة ورسوله نحتكم ، وبحكمهـما نرضى ونسـلم ، وإنْ أبى الملـحدُ إلا جـحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

(الهادى) الذى بيده الهداية والإضـلال ، فلا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى ﴿ ..مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ

---

(١) فصلت : ٤٠ .

فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١) ، ﴿ ... مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ ... قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ (٣) ، ﴿ ... وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٤) (البديع) الذى أبـدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مـثال ، (الباقى) الـذى كل شىء هالك إلا وجهه فـلا ابتـداء لأوليتـه ، ولا لآخـريتـه زوال .(الوارث) الذى يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وإليه المرجع والمآل ، فبإيجاده كل مـوجود وجد وإليه كل الأمور تصير . (الرشيـد) فى كل أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده ، وإليه يهديهم ، (الصبور) الذى لا أحد أصبر منه على أذًى سَمِعَهُ ، ينسبون له الولد ، ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم ، كـل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شىء ، ثم هو يـرزقهم ويـعافيهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا

---

(١) الكهف : من الآية ١٧ .

(٢) الأنعام : من الآية ٣٩ .

(٣) البقرة : من الآية ١٢٠ .

(٤) لقمان : من الآية ٢٠ .

نفعه فينفعوه ، ولا ضره فيضروه ، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ، ووبال عصيانهم عليهم ، واستغنى الله والله غنى جميد ، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

* * فهكذا كما رأينا يكون التعرف على الله تبارك وتعالى من خلال آياته القرآنية وأحاديث حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، الذى عرفه حق المعرفة ، فكان بسبب هذا أعظم عابد له سبحانه وتعالى وخير قدوة ﴿ ... لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢). ولهذا كان لا بد أن يكون العبد الصالح على صلة مستمرة بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى لا تنقطع صلته بهذا الإله العظيم الذى لا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى .

* وحسب هذا العبد الصالح كذلك إذا أراد أن ينمى معرفته بالله تعالى أن يكون من أولى الألباب المشار إليهم فى قول الله تبارك

---

(١) التغابن: ٧ .

(٢) الأحزاب : من الآية ٢١ .

وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ. ﴾ (١) . ثم يقولون :

﴿ .. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢)

كهذا الرجل الموحد الذى يقول :

تأمل سطور الكائنات فإنها
من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها ـ لو قرأت سطورها ـ
ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل

* ويقول :

شرِّدْ النوم عن جفونك وانظر
حكمة توقظ النفوس النياما

---

(١) آل عمران : ١٩٠ وجزء من الآية ١٩١

(٢) آل عمران : بقية الآية ١٩١ .

فـــــحرام عـلى امـرئ لـم يُشـاهد

حـكمةَ الله أن يـذوق المنــاما

* ويقول :

تَبَصَّرْ حيث كـان لـك التَّبَصُّــر

وفـى ذات الإلـه دع التفــكر

وإنْ ترد المهيـمن حيـن تـذكـر

تأمَّــلْ فــى نبـات الأرض وانـظر

إلـى آثـار مـا صـنع المليـك

فأنـــوار المهيـمن سـاطعات

وأفـكـار الخـلائـق حـائـرات

ولـكـن الأدلــة واضـحـات

أصـول مـن لجيْـنٍ (1) زاهـرات

(1) أى الفضـة

عــــلى أغصـــــانها ذهـــــب سبِيـك

شـــــموس فى البــرية مشـــــرقات

نجــوم فـــى الديــــاجى لامـعـات

بـــطول الدهـــر دومـــا ســــابحات

إلـــى مالســــتُ أدْرِى طائـــرات

يطـير بــــها له الجــــرم الســميـك

ريــــاض مـــــونقات مـــنعشات

وألــــوان لعينـــــك مــدهـشـــات

وأغـــــصان تســـــرك ناضـــــرات

عـــلى قُضُب الزبرجـد شاهـــدات

بـــــأن اللهّ ليـــس لــــــه شـريك

* **وما أروع قول الحكيم :**

يقولون : أيـــن اللــه ؟ أيـن بـدائعه ؟

وذا الـكون سِـفْرٌ واضـح وَهْوَ كـــاتبُهْ

يَشُكُّـون والإيمـــانُ مِــلْءُ قلوبهـــم
ويبـــدُون ما تلـك القــلوبُ تُــكَذِّبُهْ
وأى امرئ فى الـكون يــرسل طَـرْفَـهَ
إذا مـا بـدت أقمـــاره وكـواكبُــهْ !
وليس يقول : الله فى عـرش مجـــده
وهـــذى حـواشيه وهـذى مواكبــه !
وأى امـرئ مـــا سبح الله مـــرة
إذا راقـــب الأزهـــار وهـى تراقبُــهْ !
عجائب ربـى فـــى الأنـــام جلـيلة
ولـكنَّ جهل المـــرء لا شك غالبُــهْ !

* وصدق الله العظيم فهو القائل :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ

﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ
ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ
مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَٱلْعُرْجُونِ[١] ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا
ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٢]

* وقد ورد :

(حسبكم الكون معجزة . انظروا إلى الأرض فهى من عجائب صنع الله، وآية على وجوده وعظمته ، خلقها لكم وسلك لكم فيها سبلا ، تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه ، ثم انظروا إلى السحاب المسير فى الآفاق يسح [٣] بمائه فيحيى أرضا مواتا ، ويخرج منها زرعا ونخيلا وأعنابا ، ثم انظروا إلى الأنعام خلقها لكم تجعل المرعى لبنا سائغا للشاربين ، ثم انظروا

---

(١) العرجون : شمراخ البلح .

(٢) سورة يس : ٣٣ - ٤٠ .

(٣) السح : الصب والسيلان من فوق .

فى أنفسكم فإنكم معجزة : لقد كنتم صغارا ، ومن قبل لم تكونوا شيئا مذكورا ، ثم وهب لكم الله العقل والقوة والجمال والرحمة، أشرف الصفات) .

* ومن أجمل ماقرأت فى هذا كذلك تحت عنوان [1] :

من دلائل قدرة الله

قصيدة لفضيلة الأستاذ الشيخ الصاوى شعلان ـ رحمه الله تعالى ـ يقول فيها مشيرا إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى وتمس شغاف قلوب المؤمنين الموحدين :

نشر الصبح على الدينا سناه
وسقى الروض رحيقا من نداه
واكتسى الروض من النور حلاه
الندى من فيض مَنْ ؟!
والضحى من نور مَنْ

* * *

(١) فى كتاب : مع الله ، نظرات فى الكون والحياة ، للاستاذ عبد الجواد رجب٠٠ طبعة دارالاعتصام

أقبلت في بسمة الفجر الطيورْ

تسكب الألحان عطرا في الزهورْ

تصنع العش وتسعى في البكور

عيشها في رزق مَنْ ؟!

وهي أيضا صنع مَنْ ؟!

* * *

حوت الأرض أفانين الشجرّ

بين ألوان وطِول وقصرّ !!

وغصون مورقات وثَمر

مُنْبِتِ الأشجار مَنْ ؟!

راسم الألوان مَنْ ؟!

* * *

وترى الشمس عروس المشرق

وجمال البدر عند الأفقِ

ســـابـحا فـى الطيلسـان الأزرقِ

الـــدرارى صـــنع مَـــنْ ؟!

والســـــموات لـمـــن ؟!

* * *

داعب النـــحلُ مـــن الزهـــر شَذاه

وأحـــال الـــوردَ شـــهدا فـــى رُبـــاه !!

وبنـــت هنـــــدسةُ النـــمل قـراُه

مُـــرْشِـــدُ النحـــلة مَـــنْ ؟!

مُلْهِـــمُ النمـــلة مَـــنْ ؟!

* * *

الجنـــينُ استقـــبل الـــرزقَ الجـــديدْ ؟!

وتـــوالى وهـــو فى المـــهـد الســـعيدْ !

قـــبل أن تنبُـــتَ أســـنانُ الولـــيدْ

أطعـــــمته يـــــد مـــــنْ ؟!

صَـــوَّرته يــــد مَـــــنْ ؟!

* * *

لم يا مخلوق آثـرت الجـحـــودْ ؟!

كُنْتَ معدوما فَمِنْ أين الوجـــودْ ؟!

أَهِـــيَ الـــصـُّدْفَـــةُ أم رَبٌّ ودود

قبــــله فـى الــكـون مَـــــنْ ؟!

بعــــده فـــى المـــلك مَـــنْ ؟!

* * *

لـو تنـــاهيتم إلى ســـر الحـــياهْ

وصنـــعتم كـائنا حيــــا نـــراهْ !!

لـــم نـــزد إلا يقـــينا بـــالإلهْ

* * ومن أجمل ما قرأت كذلك حول موضوع :

البراهين الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى

ما قاله صاحب كتاب (معارج القبول) حول « إثبات ذات الـــرب جل وعلا » حيث يقول : فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها . ومحال أن توجد بدون موجِد ، ومحال أن توجد أنفسها . قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية :

* ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ (١).

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أى : من غير رب ، ومعناه : أخُلقوا من غير شيء خلقهم فوُجدوا بلاخالق ، وذلك مما لا يجوز أن يكون ؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم ، فلابد له من خالق ، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يُوجَدُوا بلا خالق ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ لأنفسهم ،

(١) الطور : ٣٥ و ٣٦ .

وذلك فى البطلان أشد ؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق ؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وهذا فى البطلان أشد وأشد ؛ فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يُوجَدَ بنفسه ، فضلا عن أن يكون مُوجِداً لغيره ، وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله عزوجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له ﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ أى : ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك .

* وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب [1] بالطور ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [2] ـ كاد قلبى أن يطير . (أخرجاه فى الصحيحين) .

وكثيرا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على

---

(١) أى فى صلاة المغرب .

(٢) الطور ٣٥ ـ ٣٧

معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى :

* ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (1) ، أى : فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والوهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى ، وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة ، وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ؛ لهذا قال الله عزوجل :

* ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (2) ، قال قتادة : مَنْ تفكر فى خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة ، وكذا فى ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة ؛ إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى نفخ الروح فيه. وقال تعالى :

* ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ

---

(1) الذاريات : ٢٠

(2) الذاريات : ٢١ .

﴿فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] يقول الله تعالى منبها على خلق العالم العلوى والسفلى: (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا) أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا (بأيد) أى بقوة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد ، (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : لقادرون ، وعنه أيضا : لموسعون الرزق على خلقنا . وقيل : ذوسعة. وقال ابن كثير : أى قد وسّعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقامت كما هى . (وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا) أى جعلناها فراشا للمخلوقات ، (فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ) الباسطون نحن . قال ابن عباس : نِعْمَ ما وطأتُ لعبادى . (وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والبر والبحر ، والسهل والجبل ، والشتاء والصيف ، والجن والإنس ، والذكر والأنثى ، والنور والظلمة ، والإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والجنة والنار ، والحق والباطل ، والحلو والمر ، والدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والجامد

(١) الذاريات : ٤٧ ـ ٤٩

والنامى ، والمتحرك والساكن ، والحر والبرد ، وغير ذلك . (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له .أ٠هـ ابن كثير والبغوى .

وقال تعالى : * ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١). قال أبو الضحى : لما نزلت : (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢)) قال المشركون : إنْ كان هكذا فليأتنا بآية ، فأنزل الله عزوجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تلك فى ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ، ودوران فلكها ، وهذه الأرض فى كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع « **واختلاف الليل والنهار** » هذا يجىء ثم يذهب ويخلفه الآخر ، ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى :

(١) البقرة : ١٦٤٠

(٢) البقرة : ١٦٣٠

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) ، وتارة يطول هذا ، ويقصر هذا ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، ثم يتعاوضان ، كما قال تعالى :

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ... ﴾ (٢) أى يزيد من هذا فى هذا ، ومن هذا فى هذا (وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ) أى فى تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء . ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٣) كما قال تعالى : « وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ »(٤) . إلى قوله : ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥) ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾(٦) على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها ،

---

(١) سورة يس : ٤٠

(٢) الحديد : من الآية ٦ .

(٣) البقرة - من الآية : ١٦٤ .

(٥،٤) سورة يس : ٣٣ - ٣٦ .

(٦) البقرة - من الآية : ١٦٤ .

وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] . (وتصريف **الرياح**) فتارة تأتى بالرحمة ، وتارة تأتى بالعذاب وهى الريح ، وتارة تأتى مبشرات بين يدى السحاب ، وتارة تسوقها ، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه ، وتارة تصرفه ، ثم تارة تأتى من الشمال وهى الشامية ، وتارة تأتى من ناحية اليمن ، وتارة صباً وهى الشرقية، وتارة دبوراً وهى غربية وغير ذلك والله أعلم ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضى والأماكن كما يصرفه تعالى .﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أى فى هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى (لقوم يعقلون) فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا غنيا بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه ، قائماً بذاته ، وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره ، متصفا بجميع صفات الكمال ، وكل ما سواه ملازمه النقص ، وليس الكمال المطلق إلا له ، وهو

(١) هود : ٦ .

الله تبارك وتعالى . وقال تبارك وتعالى : * ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (١) .

يقول تعالى : (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ) الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب (ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقة ، ثم مضغة ، ثم صار عظاما شَكْلُهُ شَكْلُ إنسان ، ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم

(١) الروم : ٢١-٢٥ .

أُخْرِجَ من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبنى المدائن والحصون ، ويسافر فى أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويكتسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ودهاء ومكر ، ورأى وعلم ، واتساع فى أمور الدينا والآخرة ، كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم فى فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم فى العلوم والفكر ، والحسن والقبح، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة .

* وعن أبى موسى رضى اللّه عنه قال : قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وغير ذلك)** رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح . ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أى خلق من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ كما قال

تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [1] . يعنى بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر ، ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان ـ لَماَ حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته ببنى آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ﴾ وهى المحبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهى الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه فى الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فى عظمة الله وقدرته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى خلق السموات فى ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الأرض فى انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار . ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعنى اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء لهم لغة

---

(1) الأعراف : من الآية ١٨٩ .

أخـرى ، وهؤلاء كـرج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفـرنج ، وهؤلاء بربر ، وهؤلاء حبشـة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء فـرس ، وهؤلاء صقـالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلـمه إلا اللـه عـزوجل مـن اختلاف لغـات بنى آدم ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ أى واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر ، وأنتم أولاد رجل واحد، وامرأة واحدة ، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى ، لجميع أهل الأرض ، بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة ، كُلٌّ له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان ، وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لابد أن يفارقه بشىء من السمت أوالهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئته لا تشبه أخرى ، ولو توافق جماعة فى صفة من جمال وقبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أى ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم فى الليل فإنه فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلام والتعب ، وجعل لكم الانتشار والسعى فى الأسباب والأسفار فى النهار وهذا ضد النوم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار . ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتى بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أى بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (١) . وفى ذلك عبرة ودلالة واضحة على الميعاد وقيام الساعة ؛ ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ (٢) .وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ (٣) .وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد فى اليمين قال : (والذى قامت السموات والأرض بأمره) أى هى قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها ، ثم إذا كان يوم القيامة بُدِّلَتْ

---

(١) الحج : من الآية ٥ .

(٢) الحج : من الآية ٦٥ .

(٣) فاطر : من الآية ٤١ .

الأرضُ غير الأرض والسموات ، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أي من الأرض . كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [3] والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تُحصَى وأجل من أن تُستقصَى ، وفيما ذكرنا كفاية وغِنًى يغني عن خلط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها ، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات ، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه ، حيث أوجده ولم يك من قبل شيئا ، فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم؟

---

(١) الإسراء : ٥٢ .

(٢) النازعات : ١٣و١٤

(٣) يس : ٥٣

وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة ؛ ولهذا قال تعالى فى كفرهم بآياته : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (1) . فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى . ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا : ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ (2) . وهذا يحتمل شيئين : أحدهما أفى وجوده تعالى شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضرورى فى الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب ، وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم ؛ ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته فقالوا : (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الذى خلقها وابتدعها على غير مثال سبق ، فإن شواهد

---

(1) النمل : من الآية ١٤ .

(2) إبراهيم : آخر الآية ٩ وصدر الآية١٠ .

الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلا بد لهما من خالق ، وهو اللّه الذى لا إله إلا هو خالق كل شيء ومليكه ، والمعنى الثانى فى قولهم (**أفى اللّه شك**) أى أفى إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ؟ فإن غالب الأمم كانت مُقِـرَّةً بالخالق ، ولكن تعبـد معه غيـره من الوسـائط التى يظنونهـا تنفعـهم أو تقربهم ، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين : لا ، أى لا شك فيه .

* * وقد نقل عن الأئمة وعن غيرهم فى هذا الباب :

* عن الإمام مـالك رحـمه الله تعالى : أن الرشيـد سـأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

* وعن أبى حنيـفة رحـمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود البارى تبارك وتعالى فقـال لهـم : دعونى فإنى مفكر فى أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بهـا أحد يحرسهـا ولا يسـوقـهـا ، وهى مع ذلك تذهب وتجىء وتسير بنفسها ، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منهـا وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقـالوا :

هذا شيء لا يقوله عاقل . فقال : ويْحَكُمْ !! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى والسفلى وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ فبُهِتَ القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

* وعن الشافعى رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل ، فقال : هذا ورق التوت طَعْمه واحد ، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسيم (١) ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا ، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك . وهو شيء واحد .

* وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال : هاهنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هو كذلك إذ تصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح اهـ يعنى بذلك البيضة إذا خرج منها الديك .

---

(١) أى الحرير .

* وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمَّلْ فــى ريــاض الأرض وانــظرْ
إلــى آثــار مــا صـنع المليــكُ
عــيون مــن لُجَيْن شــاخـصات
بأحــداق هــى الذهــب السبيكُ
علــى قُضُــبِ الزبرجــد شاهــدات
بــأن اللــه ليــس لـه شــريك

* وقال ابن المعتز ، ويروى لأبى العتاهية ـ رحمهما الله تعالى :

فيــا عجــبا كيــف يعــصى الإلــ
ـه أم كــيف يجحــده الجاحــدُ ؟
ولله فــى كــل تحــريكة
وفــى كــل تسكينــة شاهــدُ

وفي كـــــل شيء لـــــه آيـة

تـــدل علـــى أنـه الـواحــدُ

* وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : ياسبحان اللّه ، إن البعر يدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

* ومن خطب قس بن ساعدة الإيادى ـ رحمه الله ـ وكان على ملة إبراهيم عليه السلام : أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وإذا سمعتم فَعُوا ، وإذا وَعيتُمْ فانتفعوا ، وقولوا ـ أو إذا قلتم ـ فاصدقوا ، مَنْ عاش مات ، ومن مات فات، وكل ماهو آتٍ آتٍ ، مطر ونبات، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام، إن فى السماء خبراً وإن فى الأرض عبرا يحار فيهن البصير ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار لا تفور ، ومنايا دَوَانٍ ، ودهر خَوَّانٌ ، كحد الفسطاس ووزن القسطاسْ .

أقسم قُسٌّ قَسَماً ، لا كاذبا فيه ولا آثما : لئن كان فى هذا الأمر

رضاً ليكونن سخط ، ثم قال : أيها الناس ، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

وفى بعض ألفاظها قال: شرق وغرب ، يتم وخرب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأُجاج وعَذْب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحَبٌّ ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات فى إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضل الأنام ، نشء مولود ، ووَأد معقود ، وتربية محصود ، وفقير وغنى ، ومحسن ومسىء ، تَباً لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل إله واحد ليس بمولود ولا والد ، وأعاد وأبْدَى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى، أما بعد فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل والعواد ؟ كل له معاد . يقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الإفراد ، فى يوم التناد ، وإذا نفُخَ فى

الصور ، ونُقِرَ فى الناقور ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ فويل لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ، والعرض الأكبر ، فى يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير، وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

* وهذا كسرى أنوشروان ملك الفرس يقول وقد صفت نفسه ، وأشرق فكره يخاطب الْفَلَكَ : إن بناء أنت سَقْفُهُ لعظيم ، وإن بيتا أنت غطاؤه لجليل ، وإن شيئا أنت تظلله لكبير ، وإن فيك عجبا للمتعجبين ، فليت شعرى ، أَعَلَى عَمَدٍ من تحتك تستمسك ، أم بمعاليق من فوقك ؟ ولعمرى إن مَلِكاً أمسكتك قدرته لملك عظيم ، وإنه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير ، وإن من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لَغِرٌّ صغير . وليت شعرى : أيتها الأفلاك : بم طلوعك حين تطلعين ؟ وبم مسيرك حين تسيرين ؟ وأُفُولُكِ حين تأفلين ؟ وعلام سقوطك حين تغيبين ؟ !! ليت شعرى ، أساكنة أم تتحركين ، أم كيف صفتك التى بها تتصفين ، ولونك الذى به تتسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التى بها تُعْرَفِين ؟!

فسبحان من لأمْرِه تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ، ورجوعك حين ترجعين) .

* ولله در الشاعر الأزهرى الشيخ محمد الأسمر رحمه اللّه تعالى ، فلقد قال كلاما يكتب بمداد من الذهب على صحائف من نور ، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرجل كان موحدا، وكان من الذين عرفوا اللّه تبارك وتعالى حق المعرفة ، وفيه يقول مناجيا ربه سبحانه وتعالى ومثنيا عليه ـــ :

« تعاليت يارب ما أجلك ، خلقت الخلق ، وأجريت الرزق ، بك ينمو الزرع ، ويدر الضرع ، سبحانك اللهم ما أوسع ملكك، وما أعظم سلطانك، السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك ، تبارك وتعاليت ، صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنت ، الجن والإنس خلقك ، والجسم والروح عملك ، لا إله إلا أنت ، منحتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك ، يسبح الرعد بحمدك ، ويترنم الطائر بمجدك ، البحار لا تقر من خشيتك، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد جرى النسيم بلطفك ، وتقلب

كل مخلوق فى رحمتك ، تباركت تباركت ، لا أول قبلك ، ولا آخر بعدك ، كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ؟ ، فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن ، تعاليت تعاليت ، آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك ، سبحانك سبحانك ، بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك ، ماء وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصادح وباغم ، أنبت لنا من الأرض عجبا : نخيل وأشجار ، وأزاهير وثمار ، رب ، من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، وأشكالها المتباينة ، وألوانها المتغايرة ؟ ، من أين كل هذا يارب ؟ سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع ، تباركت مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء . سبحانك اللهم سبحانك ، جلت عظمتك ، وتعالت قدرتك ، أعجزت الإنسان بالجبال والنمال ، بل أعجزت الإنسان بذات الإنسان ، عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر ، قلت للسان ذق وهو لحمة فذاق ، وقلت للعين أبصرى وهى شحمة فأبصرت ، سبحانك اللهم ، وهذا

القلب الخافق بم يخفق؟! أشهد أن لا إله إلا أنت رب المشارق والمغارب ، والنجوم والكواكب ، تباعدت فهى منفصلة ، وتجاذبت فهى متصلة ، عجزت عقولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقت فكيف تحيط بك ؟ سبحانك سبحانك ! هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟ تباركت من إله صادق ، وتعاليت من رب حق . »

نعم ، هذا هو الإله العظيم الذى لا شك فى وجوده ، والذى لن نستطيع أبدا أن نحصى نعمه أو نعدد آثاره علينا وعلى غيرنا من المخلوقات الأخرى التى جميعها تسبح بحمده سبحانه وتعالى.

تالله لـــو سجـــدنا بالعيـــون لـه
علـى شبا [1] الشوك والمحمـى من الإبر
لـم نبلغ العُشْـرَ مـن مِعْـشار نعـمته
ولا العُشَـيرَ ولا جـزءا من العُـشُر

لأنه الـرب العظـيم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣

(١) شبا الشوك : أطرافه .

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ (١) .

ولهذا كان من الخير لكل إنسان عاقل ـ ذكرا كان أم أنثى ـ أن يكون على صلة بهذا الإله الخالق البارئ المصور الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، والذى ﴿ ..لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (٢)

وذلك بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى ؛ لأن الذكر الصحيح هو أقرب الطرق إلى الله تبارك تعالى ؛ ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

* ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ . . .﴾ (٣)

وقد ورد فى حديث صحيح متفق عليه :

* عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا**

(١) سورة الأعلى : ٢-٥

(٢) الشورى : من الآية ١١ .

(٣) البقرة : من الآية ١٥٢ .

ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ [1] ذكرته فى ملأ [2] خير منهم » .

* وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها [3] عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تَلْقَوْا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا : بلى ، قال : (ذِكْرُ الله تعالى) رواه الترمذى ، قال الحاكم أبو عبد الله : إسناده صحيح .

* وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت عَلَىَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به [4] ، قال : **(لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)** رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

---

(١) جماعة الذاكرين .

(٢) أى الملائكة .

(٣) أى أطهرها وأكثرها ثوابا .

(٤) أى اعتصم حقيقة به أو مجازاً .

فاذكر كل هذا ـ أخا الإسلام ـ مع ملاحظة ما جاء فى هذه النصيحة التى يقول فيها الشيخ محمد محرم العمروسى رحمه اللّه مرشدا إيانا نحن الذاكرين ـ إن شاء اللّه ـ إلى أكمل الحالات:

تمسكْ بحبل الشرع واضرب بسيفه

رءوس المعاصى واتخذْ منه جوشناَ

وبادرْ إلى إنكار ما كان خارجا

عن الحق واحذر أن تكون مُداَهِنا

ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة

إلى عَرَضِ الدنيا المعَرَّض للْفَنَا

ولا تجعلْ المقصود منه تَكَسُّباً

فتنحطَّ قدراً من عُلاك وتُفْتَنَا

ولا تتخذْه للرياسة سُلَّماً

فتغضبَ مربوبا وربا مهيمناَ

وتـأتيَ مــا تـــأتي رياءً وسُــمْعَةً

وتتـخذ الشـركَ الخَــفِي تَدَيُّنـــاَ

وليست بإرخـــاء الشـــعور ولا يـــة

إذا كان منـــك القلب أسودَ عـاطـــنا

وليســــت بإظهار التَّبـــــالُه خدعة

إذا كان فيـــك الغشُّ والمكرُ كامِنـــا

وغير مفـيد لُبْسُ تـــاج وخِـــرقة

إذا كـــان إبليـس بجســـمك ساكنـــا

فوحــــد هوى ليلى لتحظى بوصـلها

وتـــرقى بلقيـــاها وتظـــفر بـالمنــــى

ومادمــت مأســـورا لنفســك والهـــوى

فـمازلت فـى ســجن القـــطيعة قاطـنا

فَطَلِّقْ ـ هـداك الله ـ نفســا خئونة

طـلاقا صريحا بالثــــلاثة بائـــــنا

فـــما هــى إلا ذات سُـــمٍّ مُخَبّــــأ

وأعــــدى عـــدو فــى الحَشَـــاَ مُتَوَطّنا

وإلافَـدَعْ دعـوى الصـلاحِ ولا تكـن

بغيــــر فـــــلاح للـولايــة مُعْلِنــــا

وخَلّ مقــــاماتِ الرجال لأهلهـــــا

وعــشْ خـــاليا فالحــبُّ راحتُـــه عَـــنا

فيـــا فقــراء الوقــت مـــالى أراكــمـو

أتيـــتم أمورا لا تَحِــلُّ بشـــرعنــــا

فكــم بِـدَعِ أحــدثتموها بجهلـــكم

وصـــرتم عليــهـــا عاكفــين ليومنـــا

جـعلتم طـريق القــوم رقصـا وصـيحة

ومُنْـــكَرَ أصوات يهـــــيج للغنـــــا

ومَــلْءَ بطـــون من غذا لم يفد سـوى

تجـــشئكم ـ ياقــوم ـ حــول بيـــوتنـا

وتحصـــيل أرزاق وضـــرب عـــوائد

علـى الـناس تـأباها قواعـــدُ ديننـــا

وحرفتمو التهليل عن وضـــــعه الذى

أتـانا بـــه التنزيل من عند ربنـــــــا

وطرقتـــمو فيـــــه طرائق لم يـــكن

علـيها رســـول اللـــه والقـــوم قبلنـا

أكان رســـول اللـه يصـــحب منشدا

ينادى بأعـلى الصـــوت ليـــلا مُدَنْدِناَ

فما زدتمــــو المـــردانَ إلا تمــــرُّداً

ومـــا زدتمـو الشـــيبان إلا تَشَيُّـطُناَ

ومازدتمـو الجهـــــال إلا جهــــالة

وبـــعدا عــن الأخـرى وقربا إلى الدُّناَ

فكن عالما بالشرع واعـمل بـه فَـمَنْ

أراد طريقـــا دون علـم فقـــد جنَى

ولا ينبــــغى للجــــاهلين تصــــدر
ولا نـشر أعــــلام الشـريعــــة بيننــا
ألــم يعـلـموا أن الطــريق كنــــاية
عـن العـمل الجـارى على وَفْقِ شرعنا
وذبح النفــوس الضـــاريات بِمُـدْية
مـن الخـلق حـتى لا تميل إلى الخنـا
وزهــد عن الدنيــــا وعن شـــهواتها
وعـمن يراهـــا أكـبر الهــم مُقْتَنَى
وجـــوع وصــمت واعتـزال وفـــكرة
بهــا حـضرة الرحمن تدخــــل آمنا
وذكـر بنـار الشـوق يحـرق خاطــــرا
ويغــرق فى بحر المـــدامع أعينـــا
يكون بجد واجتهـــاد وهمـــــة
مُشَــمِّرَةٍ لا بالتكاسُــــل والوَنــــى

وعلم وحلم واقتداء بعارف
دسائس للشيطان والنفس والدُّنا
فمن لم يصاحب شيخَ صدق ومُخلصاً
يكون له الشيطان شيخا مُلَقّنا
فأَخلِصْ ـ هداك الله ـ تخلص فهذه
طريقتنا الغراء دانية الْجَنَى

* فافهم هذه النصيحة ـ أخا الإسلام ـ وذكر بها هؤلاء الأدعياء الذين يزعمون أنهم من أهل الطريق السوى وهم فى الحقيقة من أهل الطرق الأخرى التى لا توصل إلا إلى النار ؛ لأنها تخالف شرع الله ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(١).

* وقد قرأت أن سيدى إبراهيم الدسوقى ـ رحمه الله تعالى ـ كان إذا أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، واتباع جميع

---

(١) الكهف ، من الآية : ١٠٤ .

الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقادا ، ولا تنظر يا ولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمداً ﷺ فى أخلاقه ، فإن لم تستطع فاتبع شيخك ، فإن نزلت عن ذلك هلكت مع الهالكين .

* وكان الجُنيدُ ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : من لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد مَنْ اتبعه .. وكان يقول : علمنا هذا مقتد بالكتاب والسنة ..

* ولله در شيخنا وإمامنا الشيخ محمود خطاب السبكى ـ رحمه الله تعالى ـ فلقد قال فى كتابه : (المقامات العلية) كلاما هاما ، جاء فيه :

اعمل بآثار النبى فإنها النور المبين

واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين

واشدد يمينك بالشريعة إنها السبب المتين

** فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ وقل لهؤلاء المبتدعين الضالين المضلين الذين يرقصون ويطبلون ويزمرون بدعوى أنهم يذكرون:

ليس التصوفُ لُبْسَ الصوف ترقعه
ولا اهتزازاً إذا غَنَّى المغَنُّونا
بل التصوفُ أن تصفو بلا كدر
وتتقى اللّه والقرآن والدِّينا

* هذا ، وإذا كان لنا بعد هذا التقديم الذى كان لابد منه حتى نتعرف من خلاله على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ونعرف الأدلة النقلية والعقلية على وجوده من خلال آياته البينات التى من أهمها أنفسنا ، فهى من أكبر الأدلة الباهرة على وجود الخالق المبدع سبحانه تعالى :

أريد بعد كل هذا ، وقبل أن ننتقل إلى (موضوع الكتاب) وهو : الواجب ، والمستحيل ، والجائز فى حق اللّه تبارك وتعالى ـ

أن نقف على بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بهذا الموضوع ، وهي[1]

حقيقة المعرفة والتقليد والدليل

فأما المعرفة فهى : (إدراك جازم مطابق للواقع ناشئ عن دليل) كاعتقاد من توصل بالدليل إلى أن البعث حق (فإدراك) جنس يشمل الجازم وغير الجازم ، والمطابق للواقع وغير المطابق ، والناشئ عن دليل والخالى عن الدليل (وجازم) : قَيْد أول يُخْرِج الظنَّ والشكَّ والوَهْم فليست معرفة (ومطابق للواقع) : قيد ثان : يخرج الإدراك الجازم المخالف لما فى الواقع فليس معرفة بل جهل مركب كاعتقاد الفلسفى قِدَمَ العالم (وناشئ عن دليل) : قيد ثالث يخرج الإدراك الجازم المطابق للواقع الخالى عن الدليل ، فليس معرفة بل هو تقليد .

وأما التقليد فهو : (الأخذ بقول غير المعصوم واعتقاده من غير معرفة دليل له) فإذا أخبرك شخص غير معصوم بأن البعث حق

(١) كما جاء فى مذكرات التوحيد ، لفضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكى، أكرمه الله تبارك وتعالى .

فاعتقدت هذا الحكم من غير أن تعرف له دليلا كنت مقلدا له فى ذلك الحكم .

وأما الدليل : فيراد به عند المتكلمين ما يوصل إلى اليقين بعقائد التوحيد، وهو قسمان : نقلى وعقلى • فالنقلى آيات القرآن الصريحة فى دلالتها والأحاديث المقطوع بصحة روايتها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) فإنه يوصل إلى اليقين بثبوت القدرة لله تعالى ، وقوله ﷺ (**أنا العاقب فلا نبى بعدى**) فإنه يوصل إلى اليقين بأنه عليه السلام خاتم النبيين .

والدليل العقلى : ما لم يكن من كتاب أو سنة ، وهو قسمان: تفصيلى وإجمالى ، فالدليل التفصيلى هو المقدور على تقريره وتفصيله ودفع الشُّبَه الواردة عليه ، كقول العالم : دليل وجود الله هذه المخلوقات ، فإن العالم يقدر على تفصيله بقوله : هذه المخلوقات حادثة فلابد لها من مُحْدِث ، وذلك المحدث الموجود يجب أن يكون

(١) نهاية ثمانى آيات ، ثلاث منها فى سورة البقرة ، وأرقامها :

٢٠و ١٠٩ و ١٤٨ ــ كما أنها نهاية الآية ١٦٥ : آل عمران،والآية ٧٧ : النحل / والآية ٤٥ النور / والآية ٢٠: العنكبوت / والآية الأولى من سورة فاطر

وجوده لذاته وهو اللّه ، وإذا وردت عليه شبهة أمكنه دفعها ، فالأدلة العقلية التى يستدل بها العالم أدلة تفصيلية ، فُصِّلَتْ بالفعل أم لم تُفَصَّل .

والدليل الإجمالى : هو المعجوز عن تقريره وتفصيله ودفع الشبهة عنه ، كقول العامى : دليل وجود اللّه هذه المخلوقات ؛ فإن العامى يعجز عن تقريره وتفصيله ، وإذا وردت عليه شبهة لا يستطيع دفعها ، فالأدلة العقلية التى يستدل بها العامى أدلة إجمالية لعجزه عن تفصيل الأدلة ودَفْع الشُّبَه عنها .

المعرفة والتقليد فى عقائد التوحيد

وقد اختلف العلماء فى كفاية التقليد فى عقائد التوحيد وعدم كفايته ، فذهب جماعة إلى أن التقليد لا يكفى فى العقائد ولا يحصل الإيمان ، وأن المقلّد فى العقائد غير مُؤْمِن عند اللّه وعندنا ، فلا يدخل الجنة ، ولا نعامله معاملة المسلمين ، وبَنَوْا هذا على أن الدليل فى العقائد واجِب وجوب الأصول ، وأنه شرط لصحة الإيمان ، وهذا المذهب هو خلاف الراجح .

ودليلهم : أن المكلّف مطالب بالمعرفة ، والمعرفةُ اعتقاد جازم مطابق للواقع ناشئ عن دليل ، وبانتفاء الدليل تنتفى المعرفة ، ومتى انتفت المعرفة انتفى الإيمان ؛ لأن الإيمان إما نفس المعرفة أو حديث النفس التابع للمعرفة .

وذهب آخرون إلى أن التقليد يكفى فى العقائد ويُحَصِّلُ الإيمان المطلوب ، وأن المقلّد مؤْمِنٍ عند الله وعندنا ؛ لأن المطلوب التصديق بالعقائد ، وقد تحقق ذلك من المُقَلِّد إلا أنه إذا كان قادرا على الدليل يأثم بتركه كما يأثم بترك نحو الصوم ، وبنوا هذا على أن الدليل فى العقائد واجب وجوب الفروع ، وأنه غير شرط لصحة الإيمان بل لكماله ، وهذا هو المذهب الراجح .

ودليلهم : أن المكلَّفَ مُطَالَب بالإيمان ، والإيمان قد بيَّنَه المصطفى ﷺ حين سئل عنه بقوله : (**أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ، ورسله**) ــ الحديث ، فذكر عليه السلام التصديق مجردا عن الدليل ، فلا يكون الإيمان متوقفا على الدليل ، والمقلد وُجِدَ منه التصديق الجازم بالعقائد فيكون آتيا بالمطلوب .

والدليل الذى اختلفوا فى أنه شرط لصحة الإيمان أو غير شرط هو الدليل الإجمالى ؛ لأنه الميسور لعامة الناس ، أما الدليل التفصيلى فلا خلاف بينهم فى عدم توقف الإيمان والمعرفة عليه ، وأنه ليس واجبا عينيا على كل مكلف ؛ لأنه ليس مقدورا إلا للعلماء ، بل هو واجب كفائى لدفع الشبه الواردة على العقائد ، فإذا أتى به البعض سقط الوجوب عن غيره .

حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيه

الإيمان لغةً مُطْلَقُ التصديق ، وشرعا فيه مذاهب ، والمشهور منها مذهبان : أحدهما الأشاعرة والماتريدية وهو أن الإيمان (تصديق النبى ﷺ بالقلب فيما عُلِمَ مجيئهُ به من الدين بالضرورة) أى التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد ﷺ وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكوجوب الصلاة والزكاة ، وحرمة الخمر والزنى

ويكفى التصديق الإجمالى فيما يلاحظ إجمالا . كغالب الملائكة ، والأنبياء، والكتب . ويشترط التصديق التفصيلى فيما

يلاحظ تفصيلا ، كسيدنا محمد ، وإبراهيم ، وعيسى ، وجبريل، وميكائيل ، والقرآن ، والتوراة، والإنجيل .

والمراد بتصديق النبى : الإذعان والقبول لما جاء به ، وترك العناد والتكبر ، ولايكفى مجرد اعتقاد صدق النبى ؛ فإن كثيرا ممن كانوا فى زمنه عليه السلام ، كانوا يعتقدون صدقه ومع ذلك لم يكونوا مؤمنين ؛ لأنهم لم يذعنوا له ، ولم يقبلوا ما جاء به ؛ ولم يتركوا العناد والتكبر . قال تعالى :

﴿ ... يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ... ﴾ (٢) .

وعلى هذا المذهب : فالنطق بالشهادتين والأعمال الصالحة غير داخلين فى حقيقة الإيمان ؛ لأنه مجرد التصديق بالقلب . بل الأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان . والنطق بالشهادتين شرط لإجراء الأحكام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد الدخول فى

---

(١) البقرة : من الآية ١٤٦ .

(٢) النمل : من الآية ١٤ .

الإسلام ؛ لأن الإيمان خفى فلابد له من علامة ، وهى النطق بالشهادتين فى حق القادر على النطق أو ما يقوم مقام النطق بهما فى العاجز عن النطق .

فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله وعندنا . فيستحق الجنة ونعامله معاملة المسلمين . ومن صدق بقلبه منهم ولم ينطق بالشهادتين وهو قادر على النطق فهو مؤمن عند الله فيستحق الجنة ، وليس بمؤمن عندنا فلا نعامله معاملة المسلمين . أما من بلغ من أولاد المسلمين فإن النطق بالشهادتين غير شرط لإجراء الأحكام الدنيوية عليه . بل هو مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته ؛ لأن الأصل فيه الإيمان . إلا إذا ظهر عليه ما يدل على عدم إيمانه ، فنحكم عليه بالكفر .

والنطق بالشهادتين واجب وجوب الفروع مرة فى العمر على كل مكلف كحمد الله تعالى والصلاة على النبى ﷺ ، فمن تركه يأثم.

المذهب الثانى فى حقيقة الإيمان هو ما نقل عن الإمام أبى حنيفة ، واشتهر عن أصحابه وبعض الأشاعرة ، وهو أن الإيمان :

(تصديق بالقلب ونطق بالشهادتين) فهو مركب من جزأين ولا يتحقق إلا بهما معا ، إلا فى حق العاجز عن النطق والمكْرَه فإن إيمانهما يتحقق بتصديق القلب ، ولا يتوقف على النطق بالشهادتين ، فالتصديق جزء لا يحتمل السقوط أصلا ، والنطق بالشهادتين جزء يحتمل السقوط عند العجز أوالإكراه ، قال تعالى :

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١) .

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ (٢) .

حقيقة الإسلام وبيان المذاهب فيه

الإسلام لغة مطلق الانقياد . وشرعا فيه مذهبان : أحدهما لجمهور الأشاعرة وهو : أن الإسلام (الامتثال الظاهرى لأوامر الشرع ونواهيه وقبولها وعدم ردها) سواء أعمل الممتثل بمقتضى تلك الأوامر والنواهى أم لم يعمل .

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متغايران ؛ لأن الإسلام هو الامتثال الظاهرى ، والإيمان هو التصديق الباطنى ، إلا أنهما

---

(١) البقرة : من الآية ٢٨٦ .

(٢) النحل : من الآية : ١٠٦ .

متلازمان فى التحقق بحسب الشرع ،

فلا يوجد إسلام معتبر شرعا بدون إيمان ، وبالعكس ، ولا يوجد مسلم ناج ليس بمؤمن ، وبالعكس ، وقد يوجد إسلام بدون إيمان كما فى المنافقين ، إلا أن هذا الإسلام غير معتبر شرعا ولاينجى صاحبه .

ثانى المذهبين فى حقيقة الإسلام مذهب جمهور الماتريدية وبعض محققى الأشاعرة ، وهو أن الإسلام شرعا : (الإذعان الباطنى والتصديق بما جاء به النبى محمد ﷺ مما علم من الدين بالضرورة) .

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متحدان فى المعنى ومتغايران فى اللفظ ، والنطق بالشهادتين دليل على ما فى القلب من الإيمان والإسلام .

ما اعتبره الشارع منافيا للإيمان

اعتبر الشارع الحكيم أمورا تنافى الإيمان ، يدل وجودها على فقد الإيمان من قلب مرتكبها ، منها السجود لصنم ووصف الله

تعالى بما لا يليق بذاته المقدسة ، وسب أنبيائه وملائكته وكتبه ، والاستخفاف بالمصحف والكعبة ، والاستهزاء على الشريعة واستحلال المحرم المجمع على تحريمه كشرب الخمر ، وإنكار ما علم من الدين بالضرورة كإنكار وجوب الصلاة ، فمن اتصف بنحو هذه الأمور حكمنا عليه بالكفر ؛ لأن وجودها دليل على أن قلبه غير عامر بالإيمان . وهكذا كما ترى ـ أخا الإسلام ـ كان لابد أن تكون على علم بكل تلك الأساسيات العقائدية التي يجب على كل مكلّف ذكر أو أنثى ، حر أو رقيق أن يعتقدها ، فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى ، وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، وأن يعرف ما جاء في الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما . ومن لم يعرف ذلك [1] فليس بمسلم ، ويخلد في نار جهنم .

(والمعرفة) هي الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل (والواجب) الأمر الثابت الذى لا يقبل الانتفاء ككون الجسم

---

(١) كما جاء في الجزء الأول من (الدين الخالص) . م

متحركا أو ساكنا ، وكَوْنه صغيرا أو كبيرا ، وكَوْنه ناعما أو خشنا . ونحوه مما لابد للجسم منه (والمستحيل) الأمر المنفى الذى لا يقبل الثبوت ككَوْن الجسم متحركا ساكنا أو طويلا قصيراً ، أو حيوانا جماداً فى آن واحد (والجائز) ما يقبل الثبوت والانتفاء ككون الجسم صغيرا فى وقت كبيرا فى وقت آخر ، وكونه قصيرا فى وقت طويلا فى آخر ، وكونه حيا فى وقت ميتا فى آخر .

* * وإذا كان لنا بعد هذا أن ندور حول :

الواجب في حق الله تبارك وتعالى

فإنه يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية وهى ثلاث عشرة:

إليك بيانها ، كما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص ـ بتصرف وإضافات (١) :

١ – الوجود : فهو تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسموات وسائر العالم (والدليل)

(١) من المراجع التوحيدية الصحيحة .

على ذلك خَلْقُه تعالى السموات وما فيها من الكواكب والملائكة ، والأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات ؛ لأن الصنعة لابد لها من صانع موجود . وقد قال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [1] ، ومن البديهى أن موجِد الشىء لا يكون معدوما ؛ لأن المعدوم لا يعطى الوجود .

* * ومن أجمل البراهين التى قرأتها لبعض الفلاسفة والتى نستطيع بها الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى [2] :

* ما قاله الفيلسوف الفرنسى ديكارت (١٥٥٦ - ١٦٥٠):

(إن فكرة الألوهية موجودة فى أذهاننا ، ووجودها الذهنى دليل على وجود حقيقة خارجية هى مصدرها) .

وقال : (إن هذه النفوس التى تدرك ذاته تعالى موجودة يقينا ، ولا يصح أن يكون وجودها صادرا عنها ؛ لأنى ـ وأنا الذى يتصور الكمال فى أجلى مظاهره ـ لو أوجدت نفسى لمنحتها أعظم قسط منه مع أنها فى الواقع ناقصة) .

---

(١) غافر، من الآية : ٦٢ .

(٢) كما جاء فى كتاب (البحوث الدينية التوحيدية) طبعة دار المعارف بمصر .

* وقال مالبيرانش الفرنسي (١٦٣٨ - ١٧١٥) :

(الله هو الموجود والحق والفاعل الوحيد ، وليس وجوده ـ جل شأنه ـ في حاجة إلى إثبات ؛ لأن فكرة الألوهية الماثلة في أذهاننا جميعا ، والتي تدركها مباشرة ، وبدون واسطة ـ تستلزم الوجود ، ولا يمكن أن يكون العدم موضوعا لتفكيرنا بحال) .

* وقال بينتر الألماني (١٦٤٦ - ١٧١٦) :

(هناك فرق بين الممكن والواقعي والضروري ، فالأول ما احتمل الوجود والعدم ، والثاني ما وجد بعد عدم ، والثالث هو الموجود أزلا الذي يستحيل ضده ، والذي استغنى عن البواعث والعلل ، ومبدأ السبب الكافي يقضي بأن الممكن لا يصبح واقعيا إلا بواسطة علة أخرى ضرورية تمنحه الوجود ، فوجود العالَم دليل البارئ جل شأنه ، الذي صيره واقعيا بعد أن كان محتملا للوجود والعدم) .

* وفي نقاش الماديين يقول الأستاذ العقاد رحمه الله :

(وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين إلا وهو يوقع العقل في تناقض لا ينتهي إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا

يقوم عليه دليل ، فالقول بالتطور فى عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول ؛ لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شيء جديد فى العالم القديم ، وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان ، فضلا عن الفكر والخيال ، والقول بأن المادة تخلق العقل، كالقول بأن الحجر يخلق البيت ، وأن البيت يخلق الساكن فيه ، وأيسر من ذلك عقلا ، بل ألزم من ذلك عقلا أن يقال : إن العقل والمادة موجودان وإن أحراهما بأن يسبق الآخر ، ويخلقه هو العقل ؛ لأن المادة لا توجد ما هو أفضل منها ، وفاقد الشيء لا يعطيه) .

وبهذا ندرك الفرق بين وجود الله ووجود العباد ، فوجود الله واجب للذات ، لا يقبل الانتفاء ، فلا بداية له ولا نهاية ، أما وجود العباد فجائز يقبل الثبوت والانتفاء وله بداية ونهاية ، فهم يوجدون بعد العدم ، وينتهي وجودهم متى أراد الله .

ولهذا ، فقد جاء فى بداية البحث المفيد ، تحت عنوان :

ما يجب في حق الله وما يستحيل عليه

أن الصفات التى يجب ثبوتها لله تعالى أنواع ثلاثة :

١ - صفة نفسية : لا تتحقق الذات إلا بها ، وهى صفة الوجود .

٢ – صفات سلبية : وهى التى تنفى عن ذات اللّه ما لا يليق بها ، وهى خمس : القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .

٣ – صفات المعانى : وهى الصفات الوجودية التى تثبت للذات العلية ما يليق بها من كمال ، وهى كثيرة ؛ لأن كمالات اللّه تعالى لا تتناهى ولا تُحَدُّ ، وأهم ما يجب أن تقف على أدلته منها سبعة وهى :

العلم ، والحياة ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

ثم يقول : وأضداد هذه الصفات كلها من : عدم ، وحدوث، وفناء ، ومشابهة للحوادث ... الخ مستحيلة عليه تعالى .

ثم يقول بعد ذلك حول صفة الوجود كلاما منطقيا ينبغى أن يلاحظه كل مؤمن ومؤمنة ، حتي يكونوا دائما مع هذا الإله العظيم الموجود ، فيقول ما خلاصته :

أن الإنسان يشعر فى أعماق نفسه بوجود إله لهذا الكون ، خالق قادر يصرفه كما يريد ، ويحكم فيه كما يشاء ، وهذا أمر تهديه إليه فطرته ، وينطق به طبعه ، من غيرحاجة إلى تعليم وإرشاد، وأنه من أجل ذلك اندفع منذ وجد يتلمس لنفسه إلها ، وراعته الظواهر الطبيعية ، فعبد منها ما رآه خليقا بمقام الألوهية ، فعبد الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والرياح وغيرها ، وظن حينا أن للبحر إلها ، وللشعر والجمال والحب آلهة ، وهكذا . واتجه كثير من الفلاسفة فى أقدم العصور إلى البحث عن مصدر الكون ، ومنشأ الوجود ، واختلفوا فى ذلك ما شاء لهم الاختلاف . هذا كله دليل على أن الإنسان مدفوع بطبعه إلى التدين ، وفى فطرته الاعتراف بوجود الله ، وإن اضطرب رأيه فيه . نعم قد تطغى على المرء عوامل الهوى والعناد والغواية ، فيخفى هذا الإحساس فى نفسه ، ولكنه لا يلبث أن يعاوده إذا تكشفت عنه تلك الحجب ، ورجع إلى فطرته وطبيعته ، وآية ذلك أنه إذا انتابته نائبة أو نزلت به شدة التجأ إلى الله وحده ، وتضرع إليه مذعناً له ، مقرّاً بوجوده إقرارا لا ظل فيه لتردد، ولا أثر فيه لريبة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ... ﴾ (١) . وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (٢).

وهذا الإحساس الفطرى دليل قوى على وجود الله .

وأن الكون موجود ، وأن كل ما تشاهده فيه من الكائنات يعتريه التغير ، ويتولد بعضها من بعض ، وذلك كله من قبيل الممكن الذى وجد بعد أن لم يكن ، ولابد له من مُوجِد ، إذ يستحيل عقلا أن يُوجَدَ بغير سبب ، وأن يوجدَ نفسه ؛ لأن كون الشيء سببا لنفسه باطل ، لا ستلزامه تقدم الشيء باعتباره سببا على نفسه باعتباره مسببا ، فلا بد أن يكون لهذه الممكنات جميعها موجد . وما وراء الممكن مستحيل ، وواجب ، والمستحيل لا يوجد غيره ؛ لأنه معدوم ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فيبقى الواجب ، ويلزم أن يكون لهذه الكائنات مُوجِد واجب الوجود لذاته لا لعارض أوجده ، وذلك هو الله سبحانه وتعالى . وذلك دليل يدركه من له أدنى حظ من التفكير ، وقد ساقه عربى فى كلمة له فقال : (بعرة تدل على بعير وأقدام تدل على مسير ، فأرض ذات

---

(١) الروم : من الآية ٣٣ .

(٢) الإسراء : من الآية ٦٧ .

فجاج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا يدل ذلك على الحكيم الخبير؟!) .

وأن هذا الكون وما نرى فيه من مظاهر الإبداع والإتقان يشهد بوجود إله يخلق بقدر، ويبدع بعلم وحكمة،فالأجْرام السماوية فى كثرتها وعظمتها وحركتها الدائمة ، وتَبَاعُد ما بينها تسير على نظام وثيق لا يختل ، واطراد لا يتخلف ، والأرض تدور حول نفسها ، وتتحرك حول الشمس ، ويتحرك حولها القمر ، فينشأ الليل والنهار، وتتنوع الفصول ، وتختلف الأجواء ، وتتوزع الأمطار والمياه، وكل شىء مهيأ لما أُعِدَّ له : الأرض لسكنى الناس والحيوانات البرية، والماء للحيوانات المائية ، والهواء للطير ، وهكذا .

وإنك لو نظرت فى عالم الحيوان مبتدئا بالحيوانات الدنيا ومنتهيا بأرقاها لوجدت لنشأتها ونموها وتكاثرها ، نظما رائعة دقيقة، ووجدت كل جزء فيها قد خلق بقدر ، وزُوِّد بما يكفل له أداء رسالته على أتم الوجوه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ

(١) سورة القمر : ٤٩

﴿فَهَدَىٰ﴾[1] .

وعلى هذا النحو من الدقة والكمال تجد النظام فى المملكة النباتية ، ففى اتساعها وتعدد أنواعها ، واختلاف أشكالها ، وألوانها، وطعومها ، وروائحها ، وخواصها ، ومنافعها ، وتسلسلها من المراتب الفطرية الدنيئة إلى أعلى المراتب وأكملها ـ فى ذلك كله ما يبعث على الدهشة ويثير الإعجاب .

وبين يديك علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والحيوان ، والنبات تكشف لك عما أودع فى المادة من أسرار ، وما وزع على العناصر من خواص تمهد كلها لبناء هذا الكون والترقى به ، وأن ما كشف العلماء من ذلك ، وما انتفعوا به فى ميادين البحث والاختراع لا يزال ـ على كثرته ـ قطرة من خضم هذا الكون الحافل بالأسرار والقُوى .

كل هذا لا يمكن أن يكون مصدره المادة ذاتها ؛ لأن المادة جامدة عمياء ، ليس لها عقل ، تستطيع أن تميز به هذه الأوضاع

---

(١) سورة الأعلى : ٢ و ٣ .

الدقيقة ، أو تهتدى إلى ذلك النسق الكامل ، أو تحتفظ بهذه النواميس المحكمة على مرّ الدهور ، دون خلل أو اضطراب . ثم إنها مسخرة تؤدى وظائف لا يمكن أن تتخلى عنها، والإنسان ـ وهو جزء منها فى أحسن صورة وأكمل طور ، وهو الذى يسخرها ، ويتحكم فيها ـ لا يقدر أن يُكْسِبَهاَ خاصة جديدة ، فهى عن خلق ذلك فى نفسها أعجز . ولا يعقل أن يكون هذا الإبداع كله قد وُجِدَ اتفاقا ، وعن طريق المصادفة ؛ لأن المصادفة لا يمكن أن تكون أساسا لنظام مستمر محكم ، لا يعتوره نقص ولا يشوبه اضطراب كهذا النظام ، وإذَنْ فلابد أن تكون هناك قوة تسيطر على هذا العالم ، وتمنحه الوجود والإحكام ، تلك القوة هى الله رب العالمين.

والقرآن الكريم كثيرا ما يتجه فى إثبات وجوده تعالى هذا الاتجاه ، فيوجه النظر إلى ما فى الكون من عجائب وبدائع ، فيقول تبارك وتعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1] ،

(١) الذاريات : ٢٠ و٢١ .

ويقول : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] إلى آخر تلك الآيات البينات التي ينبغي أن نقف عليها ونعيش بتدبر فى معانيها وما تحتوى عليه من أبعادٍ ، حتى نصل من خلالها إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، والإيمان بوجوده .

ونستطيع بعد هذا الخير الذى وقفنا عليه أن نتساءل مع هذا الرجل المؤمن الذى يقول[2] .

مَنْ علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمِ

وهدى المسافر فى الدجى بالأنجُم ؟

---

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) وهو الأستاذ أحمد عبد الهادى ، كما جاء فى مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ١٤٠ سنة ١٩٨٦م تحت عنوان « هو الله الذى لا اله الا هو » صفحة ٨١ .

وأعــد للطـفـل الضعـيف غذاءه

لبنـــا خفـيف الهضـم حلو المطعـمِ ؟

اللـــه عـلّـمَ عبـــــده وأعـــزه

وهدى الغـريب وأطـعم الطفل العَمِي

* * *

من أيقـظ الأطـيار إِبـأن السَّــحَـرْ

تشــــدو وتسعى للغـــذاء بــلا حَذَرْ

وتعود للأعشــاش مــالئــة الحــشـا

لتزق أفـراخًـا صـــغارا تنــتـظرْ ؟

اللـــه أيقظهـــا وأطـلق شَــدْوَهـا

وأطارها للعـيـش من فوق الـشـجرْ

* * *

مَنْ أخرج الشـجر العـظيم مـن الـــنواهْ

وأقله الثـمر الجـميـل كـما تـراهْ ؟

وأعــده للنــاس حـلــوا طيبـــا .

شتى المذاق وقد سُقِى نَفْسَ الـميـاهْ ؟

اللــــه أخـــرجــه وحَـمَّلَه الجَـنَى

وسقاه ماء واحدا يُجْـرِى الحيــــاهْ

* * *

مَنْ ذا الـذى رفـع الســماء بلا عَمَدْ ؟

ومَنْ الذى يعطيك ـ إنْ تَرْجُ ـ الـمَدَدْ ؟

ومَنْ الذى يـدرى بســرك إن خفـا

ويقيك سيئ ما بصــدرك من كَمَدْ ؟

اللـــه رافعـها السـماء ، وعــالــم

بالـسر . وهـو البارئ الفرد الصـمدْ

* * *

مَنْ ذا الذى ناداه من قلـب البحـارْ

قَوْمٌ على الفُلْكِ الذى لَقِىَ الدمارْ ؟

ريح وأمـــواج ترامـت فـــوقهـــم
فأتى بهم للبـر ثـم إلى الـــديـاْر ؟
اللـــه نجـــاهم وأذهـــب روعـــهـــم
ووقاهـــمُ اللـــه الـهـلاك والانـدثـار

* * *

مَنْ ذا الذى نظم الكواكب فى الفَلَكْ
وترى النـهار إذا مضـى يـأتى الْحَـلَكْ
بأدق ما كان النظـــام ودونمـــا
خلل ، ولا تلقى الكواكب تشتبك ؟
اللــــه نَاظِمهُـــا بغـير مساعدٍ
وهو المليك ، أَجَلْ ، ومالك مَنْ مَلَكْ

* * *

مَنْ أخرج الإنسان من مـاء مَهِينْ
ونشاه أطــواراً على مـــرِّ الســـنـــينْ

وأجـاد صــــورتـه وأبـدع خَلْـقَـه

وهداه بالتـفــكير للحــق المبـينْ ؟

اللـــه أبدعه وأكـمـــل خَلْـقـه

وحـبَّاه عـقلا يستـضـىءُ به اليقينْ

* * *

نعم ، إنه اللّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

٢ - القدم : ومعناه أنه لا ابتداء لوجوده تعالى ، لقوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ (١)

إذ معناه أن كل شىء غير اللّه مخلوق للّه ، فلا يجوز أن يكون غيره خالقا له ؛ لأنه لو كان مخلوقا لكان محتاجا إلى غيره ، كيف وهو ذو الغنى المطلق ، وفقر كل شىء إليه محقق ؟

وقد ثبت فيما مر بك أنه واجب الوجود ، والواجب لا يقبل الانتفاء، ووجوده ذاتى لا لعارض منحه إياه ، بل إنه أعطى

---

(١) الزمر : الآية ٦٢ .

الممكنات وجودَها .

ثم إنه لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا ، لاحتاج إلى محدث ، ومحدثه إلى محدث وهكذا ، وذلك يؤدى بك إلى فرض سلسلة من آلهة تتصف بالحدوث ، والعجز ، والافتقار إلى إله قديم موجود لذاته ، يصدر عنه كل وجود سواه ، وذلك هو (الله) قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ.. ﴾[1] .

٣ - البقاء : ومعناه أنه، لا انتهاء لوجوده سبحانه وتعالى ، وأنه لا انتهاء يلحقه عدم ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2] ، وقوله : ﴿.. كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ... ﴾[3] . ولأن من ثبت قدمه استحال عدمه . فهو الأزلى القديم بلا بداية والأبدى الباقى بلا نهاية : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ

(١) الحديد : من الآية ٣.

(٢) الرحمن : ٢٧ .

(٣) القصص : من الآية ٨٨ .

عَلِيمٌ ﴾ (1) .

فــهـــو القــــديم وحـــده والبـــــاقى
فى القيــــد نحن وهْـــوَ فى الإطـــلاق

أى أنه سبحانه وتعالى ـــ كما جاء فى شرح هذا البيت ـ هو القديم لا غيره .. والقدم صفة سلبية ، وهو انتفاء العدم السابق على الوجود ، وهو من خواص الألوهية الحقة ، ودليله ـ كما عرفنا قبل ـ أنه تعالى لولم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث ، فيلزم الدور أو التسلسل ، وكلاهما محال ، وهو أيضـــا الباقى وحده سبحانه وتعالى ، والبقاء صفة سلبية أيضا ، وهو انتفاء العدم اللاحق للوجود ، والمراد البقاء بالذات المختص بالألوهية ، ودليله أن الله تعالى لو لم يكن باقيا لكان يفنى وينعدم ، وكل قابل للفناء والانعدام حادث والله تعالى قديم وليس بحادث فهو باق . وأما البقاء بالغير كبقاء أهل الجنة والنار فليس هو من صفات الله تعالى ، لتنزه الله تعالى عنه ؛ لأنه افتقار إلى الغير ، وهو محال على الله تعالى .

(1) الحــــديد : ٣ .

٤ – مخالفته تعالى للحوادث : ومعناها عدم مماثلته لشيء منها لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ، لقوله تعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) .

ولأنه لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها . والحدوث مستحيل في حق الخالق عز وجل .

ومعناها كذلك ـ بصورة أوضح ـ أنه سبحانه وتعالى لا يماثل الممكنات في شيء ما ، فليس جوهرا ، ولا جسما ، ولا عرضا ، ولا متحركا ، ولا ساكنا، ولا يوصف تعالى بالكِبَر ولا بالصغَر ، ولا بالفَوْقيَّة ، ولا بالتحتية ، ولا بالحلول في الأمكنة ، ولا بالاتحاد مع غيره ، ولا بالاتصال به ، ولا بالانفصال عنه ، ولا بالزيادة ولا بالنقصان ، ولا بالتأثر بالمؤثرات النفسية التي تنتج اللذة والألم ، والفرح والحزن ، والغضب والرضا ، ولا بغير ذلك من أوصاف الحوادث . ليس جوهراً ؛ لأن الجوهر ـ (وهو الذي يشغل حيزا من الفراغ ، ولا يقبل التجزئة) ـ حال في محل ، وموجود في حيز ، فهو في حاجة إلى المكان والحيز وإلى من يخلقهما له ، وهو

---

(١) الشورى : من الآية ١١ .

بذلك داخل فى دائرة الممكنات ، فلا يكون واجب الوجود .

وليس جسما ؛ لأن الجسم ـ (وهو المتحيز المركب من أجزاء) ـ يحتاج إلى وجود كل جزء من أجزائه قبل وجود جملته ، فلا يكون قديما لتقدم أجزائه فى الوجود عليه ، كما يحتاج إلى من يؤلف بين هذه الأجزاء ، ومعنى هذا أنه قابل للعدم ، وذلك ينافى ما ذكر من أن وجود الواجب إنما هو لذاته لا لشيء خارج عنه ، وأنه أَزَلِيٌّ ، أَبَدِيٌّ ، لا أول لوجوده ، ولا آخر لبقائه. وليس عَرَضاً ؛ لأن العَرَضَ ـ (وهو ما لا يستغنى بذاته ، وإنما يحتاج إلى شيء يقوم به ، كالأزمنة ، والأمكنة ، والجهات والأوصاف) ـ يتغير ويتبدل ويتناوبه الوجود والعدم تبعا لوجود ما يقوم به أو انعدامه ، فيكون حادثا ولا يكون واجب الوجود .

على أنه تعالى لو شابه الحوادث ، لكان مثلها ، ولجاز عليه ما يجوز عليها من الحدوث والتغير والفناء ؛ لأن ما يجوز على أحد المثلين يجوز على الآخر ، وإذنْ فأين مقام الألوهية ، وما يجبُ لَهَا

من الكمال ؟ وما الذى يميز الإله عن خلقه حينئذ ؟ ولم يختص بالألوهية ولا تكون الحوادث المماثلة له آلهة مثله ؟. إنه لابد أن يكون مُخَالفاً لها ، وأن يكون ذا شأن آخر يتفق مع جلال الربوبية ، وعظمة الذات العليا . قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]. وربما اعترضتك آيات فى القرآن فيها ما يوهم تشبيه الله بخلقه ، نحو : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ... ﴾[3] ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[4] ، ﴿... وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ...﴾[5] ، ﴿... إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ...﴾[6] ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ..﴾[7]

(١) الشورى ، من الآية : ١١

(٢) سورة الأخلاص : ٣ و٤ .

(٣) النحل : من الآية ٥٠ .

(٤) سورة طه : ٥ .

(٥) الزمر : من الآية ٦٧ .

(٦) فاطر : من الآية ١٠ .

(٧) الفجر : من الآية ٢٢.

* وهذه كلها يجب تأويلها بما يليق بمقام الله ، ويسيغه مفهوم اللغة، فتُحْمَلُ الفوقية فى الآية على معنى التمكن من الملك والسلطان . واليمين على معنى القدرة . وصعود الكلم إليه على معنى ارتضائه له ، ومجىء الله على مجىء أمره ، وهكذا .

وإنما دعا إلى هذه التعبيرات أن ألفاظ اللغة المحدودة لا تستطيع أن تصور لعقل الإنسان القاصر الحقائق الإلهية إلا فى صورة يألفها ، ويقوى على إدراكها .

ونحب قبل أن نفرغ من الكلام عن هذه الصفة ـ أن نبين لك أن الإنسان قد يقف من ذات الله حائراً يتلمس أن يضع لها صورة ذهنية ، ولكن ذلك خطأ وضلال ؛ لأنه لاشىء من الصور الذهنية إلا وهو منتزع من المدركات الخارجية أو مؤلف منها، وإن باينها ، وأبعده الخيال عنها ، وهذه المدركات كلها حادثة فكيف تتألف منها صورة الله الواجب الوجود ، المتعالى عن الشبيه والنظير ؟ إن هذا غير ممكن ؛ ولهذا قيل : (كل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك) .

على أن للعقل جهودا إذا جاوزها عجز وضل ، وخبط فى غير فهم ولا إدراك . وهناك ظواهر كثيرة تقع تحت حس الإنسان ، وتتداخل فى مدركاته ، وهو مع ذلك يعجز عن الوصول إلى كنهها،فالنفس ، والروح ، والعقل ، والضوء ، والكهرباء ، والأثير، قريبة منه كل القرب ، ولكنه لا يستطيع معـــرفة حقيقتها ، وهو لذلك يكتفى بالبحث فى آثارها وأعراضها ، وما يمكن أن يفيده منها ، ويَدَعُ ـ مضطرا ـ محاولةَ اكتناهها ، وما ذاك إلا لأن إدراكه ينتهى عند غاية محدودة ، فالتفكير فيما وراء هذه الغاية إضاعة للوقت ، وصرف للقوى فيما خلقت غير مستعدة له . (وإذا كان هذا حال العقـل الإنسانى مع ما يساويه فى الوجود أو ينحط عنه ، بل كذلك شأنه فيما يظن من الأفعال أنه صادر عنه كالفكر ـ فما يكون من أمره بالنسبة إلى ذلك الوجود الأعلى ؟!) .

وماذا يعنى المرء من رسم صورة للإله ؟ وما فائدة ذلك له ؟ عليه أن يفكر فى آثار صنع الله ؛ ليهتدى إلى منافع خلقه ، ويشبع رغبته فى البحث ، ويكون تفكيره مجديا ، وقال ﷺ : (**تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا**) .

* * وأنا شخصيا مع هذا الرأى الذى يريح النفس ويجعل المؤمن بعيدا عن أسباب الزيغ والضلال ... وإن كنت أرى أن أوقف الأخ القارئ على الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سليم البشرى رحمه الله تعالى عن كل تلك التساؤلات الهامة فقال [1] :

إلى حضرة الفاضل الشيخ أحمد على بدر ببلصفورة : قد أرسلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥هـ مكتوبا مصحوبا بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى ، فحررنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف: اعلم أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث ، مخالف لها فى جميع سمات الحدوث ، ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان ، كما دلت على ذلك البراهين القطعية ، فإن كونه فى جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان ، وهما من العالم ـ وهو ما سوى الله تعالى ـ وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله تعالى بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها ، ولأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان ، مع أن المكان يمكن

---

(١) كما جاء فى هامش (الدين الخالص) ج ١ ص ٣٣

وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء ، فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن ، وكلاهما باطل ، ولأنه لو تحيز لكان جوهرا ، لاستحالة كونه عرضا ، ولو كان جوهرا فإما أن ينقسم وإما ألاَّ ينقسم وكلاهما باطل فإن غير المنقسم هو الجزء الذى لا يتجزأ ، وهو أحقر الأشياء ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ والمنقسم جسم وهو مركب ، والتركيب ينافى الوجوب الذاتى فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة ، وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، غنى عن كل ما سواه ، مفتقر إليه كل ما عداه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]،هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأذلهم ، اتبعوا أهواءهم ، وتمسكوا بما لا يجدى ، فاعتقدوا ثبـوت الجهة .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، واتفقوا على أنها جهة فوق إلا أنهم افترقوا : (فمنهم) من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش، وبه قال الكرامية واليهود، وهؤلاء لا نزاع فى كفرهم (ومنهم) من أثبت الجهة مع التنزيه وأن كونه فيها ليس ككون الأجسام، وهؤلاء ضلال فساق فى عقيدتهم وإطلاقهم على الله ما لم يأذن به الشارع

(١) الشورى : جزء من الآية ١١ .

ولا مِرْيَةَ أنَّ فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير ، سيما من كان داعية أو مُقْتَدًى به (وممن نُسِبَ) إليه القول بالجهة من المتأخرين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلى ، وقد انتدب بعض تلامذته للذَّبِّ عنه وتبرئته مما نسب إليه ، وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس فى فهم مراده ، واستشهد بعبارات أخرى صريحة فى دفع التهمة عنه ، وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع ، وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه . وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية لا تصلح أدلة عقلية ولا نقلية ، قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه ، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة كقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (١)

وقوله : ﴿... إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ... ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ ءَأَمِنتُم

(١) سورة طه : ٥ .

(٢) فاطر : من الآية ١٠ .

(٣) المعارج : من الآية ٤ .

مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ .. ﴾ (1) ، وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ..﴾(2). وكحديث :

(إنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟) وقوله للجارية الخرساء : (أين الله ؟ فأشارت : فى السماء) حيث سأل بأين التى للمكان ، ولم يُنْكِرْ عليها الإشارةَ إلى السماء بل قال : (إنها مؤمنة) (ومثل) هذه ـ يجاب عنها بأنها ظواهر ظنية لا تعارض الأدلة القطعية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة . فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لا تأباها الدلائل والنصوص الشرعية إما تأويلا إجماليا بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف ، وإما تأويلا تفصيليا بتعيين محاملها وما يراد منها كما هو مذهب الخلف كقولهم : إن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، كما فى قول القائل :

---

(1) سورة الملك : من الآية ١٦ .

(2) الأنعام : من الآية ٦١ .

قد استوى بِشْرٌ على العراق

من غير سيف ودم مُهراق

وصعود الكلم الطيب إليه قَبولُه إياه ورضاه به ؛ لأن الكلم عَرَضٌ يستحيل صعوده . وقوله : مَنْ في السماء ، أي : أَمْرُه وسلطانه أو مَلَكٌ من ملائكته مُوكَّل بالعذاب . وعروجُ الملائكة والروح إليه صعودُهم إلى مكان يُتَقَرَّبُ إليه فيه ، وقوله : فوق عباده ، أي : بالقدرة والغلبة ، فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه ، أي أنه أقدر منه وأغلب ، ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل، وخص الليل لأنه مظنة للخلوة والخضوع وحضور القلب ، وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن به اعتقاده من أينية المعبود كما يعتقده الوثنيون ، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها أرادت خالق السماء ، فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها ، وقد بسط العلماء في مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملاً بالقطعي وحملا لِلظَّنِّيِّ عليه ، فجزاهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء .

ومن العجيب أن يَدَعَ مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم ويتمشدق بتُرَّهات المبتدعين وضلالتهم ، أَمَا سمع قولَ اللّه تعالى : ﴿ ... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) ، فليتب إلى اللّه تعالى من تلطخ بشيء من هذه القاذورات ، ولا يتبع خطوات الشيطان؛ فإنه يأمره بالفحشاء والمنكر ، ولا يحملنه العناد على التمادى والإصرار عليه ؛ فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب ، والتمادى على الباطل يفضى إلى أشد العذاب ﴿ ... مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (٢)

نسأل اللّه أن يهدينا جميعا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أهـ.

* * وقد أورد إمام أهل السنة (الشيخ محمود خطاب السبكى) رحمه اللّه تعالى فى الجزء الأول من الدين الخالص ،

---

(١) النساء : من الآية ١١٥ .

(٢) الكهف : من الآية ١٧ .

فى باب (المتشابه) أقوالا هامة تتعلق بهذا الموضوع ، قال فيها بعد أن قال :

(وأما) السلف والخلف فإنهم مجمعون على ثبوت صفات اللّه تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المحمدية .

وإنما خلافهم فى : تفويض معنى المتشابه : وهو مذهب السلف . وفى بيان معناه : وهو مذهب الخلف :

* قال الإمام السلفى الجليل ابن كثير فى تفسيره ما نصه : أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ قلنا فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هنا موضع بسطها ، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعى ، والثورى ، والليث بن سعد ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا . وهو إمرارها كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن اللّه تعالى ، فإن اللّه لا يشبهه شىء من خلقه و« **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** » ، بل الأمر كما قاله الأئمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال:

من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه (فمن أثبت) لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى (ونفى) عنه تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى . أ هـ .

* وقال العلامة إسماعيل حقى فى تفسيره روح البيان : من قال إن الله فى السماء إن أراد به المكان كفر ، وإن أراد به الحكاية عما جاء فى ظاهر الأخبار لا يكفر ؛ لأنها مؤولة ، والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه . أ هـ .

(ولذا) لم يتعرض السلف لتأويل المتشابهات لكون العقول إذ ذاك كانت سليمة لا تفهم من المتشابه إلا تنزيه الله عز وجل عن صفات الحوادث. (وتعرض) الخلف للتأويل لفساد عقول كثير من أهل زمانهم ففهموا من ظاهر المتشابهات أن الله سبحانه وتعالى جسم يحل فى العرش أو السماء أو الجهة .

* (قال) فى روح البيان : يقال لمن قال : إن للّه تعالى مكانا : أين كان قبل خلق هذه العوالم ؟ ألم يكن له وجود متحقق ؟ فإن قالوا : لا ، فقد كفروا ، وإن قالوا بالحلول والانتقال ، فكذلك ؛ لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته ، لكن لا من حيث إنه حادث مطلقا بل من حيث إن وجوده مستفاض منه ، فافهم . أ هـ .

* (وقال) أيضا : من يثبت له تعالى مكانا فهو من المجسمة . ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى فى كل مكان ، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف . أهـ .

* (والعلماء) الزائغون عن الحق هم الذين ذمهم اللّه تعالى بقوله : ﴿... فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ...﴾ (١) ، وأى فتنة أفظع من كونهم كفروا باللّه تعالى لاعتقادهم أن اللّه تعالى جالس على العرش ، أو له مكان ، أو حل فى جهة ، زعما

(١) آل عمران : من الآية ٧ .

منهم أن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على ذلك وكفر بسببهم كثير من جهلة العوام ضعفاء العقول كما شاع وذاع فى كثير من البقاع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « **ثم استوى على العرش** » : استوى أمره أو استولى ، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن .أ هـ .

* وقال العلامة الخطيب : الله تعالى لا يتصف بالأماكن والجهات والحدود ؛ لأنها صفات الأجسام ، ولأنه تعالى خلق الأمكنة وهو غير متحيز ، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان . أ هـ .

* وقال العارف الصاوى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ... ﴾ (1) : المراد بالفوقية القهر لا الجهة ؛ لأنها مستحيلة عليه تعالى .أ هـ .

---

(1) النحل : من الآية ٥٠ .

* وقال الإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ...﴾[1] : المراد بها توقيره وتنزيهه تعالى عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود ؛ لأنه خلق الأمكنة وهوغير محتاج إليها ، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ، ولا زمان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان . أ هـ .

* وقال أبو حيان فى تفسيره : معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة له ولا يشبه بشىء من خلقه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث . أ هـ .

وقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ...﴾[2] : إنما ذهب أهل العلم إلى الخروج عن ظاهر (فى السموات وفى الأرض) لما قام عليه العقل من استحالة حلول الله تعالى فى الأماكن ومماسة الأجرام ومحاذاته لها وتحيزه فى جهة . أ هـ .

---

(١) الملك : من الاية ١٦ .

(٢) الأنعام : من الآية ٣ .

* وقال الإمام النيسابورى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ : يقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة .أهـ .

* وقال عماد الدين الكندى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ : حلول الله تعالى فى الأماكن مستحيل ، وكذلك مماسة الأجرام أو محاذاته لها ، أو تحيزه فى جهة ؛ لامتناع جواز التغير عليه تبارك وتعالى ، واستقرت القواعد على أن الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه الجهة ولا الظرفية أهـ . بتصرف . (وقال) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ : الفوقية تمثيل للقهر لا للقاهر . وما أغبى الحشوية وأجمدهم حيث التزموا فوقية الجهة والجسمية فيمن يستحيل عليه ذلك . فما بالحشوية إلا مكايدة المعقول ومكابرة المنقول . أهـ .

* وقال الحافظ بن حجر فى شرح صحيح البخارى فى تفسير الاستواء المشار إليه فى قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : قالت المجسمة معناه الاستقرار ، وهو قول فاسد ؛ لأن

الاستقرار من صفات الأجسام، ويلزم منه الحلول والتناهى ، وهو محال فى حق اللّه تعالى ولائق بالمخلوقات . أهـ.

* وقال العلامة النووى فى شرح صحيح مسلم : مذهب السلف فى أحاديث الصفات أنه يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال اللّه تعالى مع اعتقادنا الجازم أن اللّه ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوق .أ هـ .

* * والخلاصة التى أريد أن ننتهى إليها ونكتفى بها ــ حول هذا الموضوع ــ ما جاء فى هامش (الفتاوى الأمينية) ، حيث يقول ، حول (بيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات) :

وقد قال اللّه تعالى فى سورة تبارك آية ١٦ :

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ، هذه الآية نظيرها قوله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾ الأنعام ، آية ٦٥ . وكذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ

ٱلۡأَرۡضَ﴾ القصص . صدر آية : ٨١ .

وهنا سؤال : هل الله سبحانه فى السماء ؟ : احتج المشبهة بهذه الآية على إثبات المكان لله ، وهى قوله تعالى : « أأمنتم من فى السماء ؟ » .

والجواب : أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين؛ لأن كونه سبحانه فى السماء يقتضى كون السماء محيطا به من جميع الجوانب فيكون سبحانه أصغر من السماء ، والسماء أصغر من العرش بكثير ، بل وأصغر من الكرسى، الذى وسع السموات والأرض ، فيلزم أن يكون الله شيئا صغيرا بالنسبة إلى العرش ، وذلك محال ، ولأنه تعالى قال : « قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ » الرعد صدر آية: ١٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الأنعام آية : ٣ فهل يعقل أن تكون الذات الواحدة فى مكانين فى آن واحد ؟ .

إذن يجب صرف هذه الآية وأمثالها عن ظاهرها . قال فى فتح الرحمن : هذا من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه إلى الله .

وفى فتح البارى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ من غير تشبيه ولا تفسير . وأخرج البيهقى بسند صحيح عن سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه . وهذه طريقة الشافعى وأحمد بن حنبل .

وعلماء المالكية : اختلفوا ، فرأى بعضهم التأويل ، ورأى البعض الانكفاف عن التأويل وتفويض معانيها إلى الله . والأسلم اتباع السلف لأنهم لا يؤولون . والرسول ﷺ يقول : (آمنوا **بمتشابهه واعملوا بمحكمه**) انظر ص ٢٠٣ جـ ٣ النهاية لابن الأثير ، ولم يقل : (أولوه) ، فهو فى السماء على المعنى الذى أراده سبحانه مع كمال التنزيه ، ويجوز أن تكون الظرفية تجوزا فى التعبير مع ما عليه العرب من أنه فى السماء وهو متعال عن المكان ، ومثله حديث الجارية .

وأما رفع الأيدى إلى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة .

والخلف يقولون : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ عذابه ، كما أن السماء موضع نزول الرحمة ، والمراد من كونه فى السموات وفى الأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته فى السموات وفى الأرض . ويجوز أن يكون المراد من قوله : « من فى السماء » هو الملك الموكل بالعذاب ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بإذن الله ، أو المراد الملائكة الموكلون بتدبير هذا العالم بإذن الله ، فهو سبحانه ليس فى جهة من الجهات ؛ لأن ذلك من صفات الأجسام.

ومن الآيات المتشابهات أيضا قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، قد تعلقت المشبهة أيضا بهذه الآية ، فى أن معبودهم جالس على العرش ، وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه:

(أولها) : أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه .

و(ثانيها) : أن الجالس على العرش لابد وأن يكون الجزء الحاصل منه فى يمين العرش غير الحاصل فى يسار العرش ، فيكون فى نفسه مؤلفا مركبا، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب ، وذلك محال .

و(ثالثها) : أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك ، فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون ، فيكون محدثا لا محالة ، وإن كان الثانى كان كالمربوط ، بل كالزمن بل أسوأ حالا منه ، فإن الزمن إذا شاء الحركة فى رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم.

و (رابعها) : أن قوله تعالى :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ يتناول نفى المساواة من جميع الوجوه ، فلو كان جالسا لوجد من يماثله فى الجلوس ، فحينئذ يبطل معنى الآية .

و (خامسها) : قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [1]. فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم، فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول ؛ لأن الخالق هو الذى يحفظ المخلوق،

(١) الحاقة : ١٧ .

أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .

و (سادسها) : أن العالم كرة فالجهة التى هى فوق بالنسبة إلينا هى تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصا بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقًا لبعض الناس لكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين . وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

و (سابعها) : أن الأمة أجمعت على أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ من المحكمات لا من المتشابهات ، فلو كان مختصا بالمكان لكان الجانب الذى منه يلى ما على يمينه غير الجانب الذى منه يلى ما على يساره ، فيكون مركبا منقسما ، فلا يكون أحدا فى الحقيقة فيبطل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

* * وعلى هذا : فلا يصح أن نشتغل بالتأويل ، بل نقطع بأن الله منزه عن المكان والجهة ، ونترك تأويل الآيات .

فالسلف فى آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه ، والخلف يؤولون خوفا من التشبيه ، فكلهم متفقون على التنزيه ، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعنون المعنى المراد ،

فيقولون مثلا فى قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ : المراد باليد القدرة ، والسلف يفوضون بعد التنزيه فيقولون : إننا ننزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئا خاصا من المعانى التنزيهية كما يفعل علماء الخلف ، وأما أولئك المتفيهقون الذين يعينون ويشبهون، فهم مجسمون مشبهون يبرأ منهم السلف والخلف جميعا .

وليت شعرى : أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر فيثبتون له تعالى (يدا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١). أم (يدين) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٢). أم (أيديا) عديدة بمقتضى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ (٣). و يثبتون له (عينا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (٤). ، أم (أعينا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٥). إلى غير ذلك وهوكثير . ويقولون : إن

---

(١) الفتح : من الآية ١٠ .

(٢) المائدة : من الآية ٦٤ .

(٣) يس : آية ٧١.

(٤) طه : من الآية ٣٩.

(٥) القمر : من الآية ١٤ .

الله (فى السماء) بمقتضى قوله : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ أم (على العرش) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، أم (فى الآفاق) بمقتضى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد آية : ٤ . و يثبتون له (أصابع) بمقتضى قوله ﷺ : (**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله**) رواه مسلم والترمذى عن أنس . أو يثبتون له (يمينا) من نوع آخر لقوله ﷺ (**الحجر**[1]: **يمين الله تعالى**) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عكرمة موقوفا .

وليت شعرى أيضا : هل يثبتون له ما أخبر به فى قوله تعالى : ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[2]. فيقولون بحلول الله مكان السراب فى الأرض ! وما أخبر به من أنه : ﴿**أقرب إليه من حبل الوريد**﴾، وقوله فى شأن المحتضر : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[3]. وقوله ﷺ : فى الصحيح فى حق الجائع والمريض : (**أمَا إنك لو أطعمته لوجدتنى عنده ، ولو**

---

(١)أى الحجر الأسود .

(٢) النور – من الآية : ٣٩ .

(٣) الواقعة : آية ٨٥ .

عُدْتَهُ لوجدتنى عنده) رواه مسلم عن أبى هريرة ، وحديث لقاء الله لعبده على باب المسجد وتبشبشه له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا رجع إليهم . انظر ص٨٠ ج ١ـ النهاية لابن الأثير .

تم نسأل : عمن فى السماء ؟ أى سماء هى ؟ هل الأولى أم الثانية ... أم السابعة الخ والآية تقول : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [1]، ثم نزوله كل ليلة حينما يحل الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا ، مع أن اختلاف المواقيت يجعل ثلث الليل الأخير يحل كل لحظة من بلد من البلاد، فكيف نتصور معبودهم نازلا صاعدا مدة الأربع والعشرين ساعة كلها ؛ لأن ما هو ليل هنا قد يكون نهاراً هناك؟ .

وكيف نجمع عقلا بين الظرفية فى السماء ، والعلو على العرش ، ووجوده أمام المصلى : ﴿ **وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض** ...﴾ إلخ، ورحم الله الغزالى القائل : سبحان من استوى على العرش ، كما أخبر على الوجه الذى أراد ، وبالمعنى الذى قال استواء منزها عن المماسة والاستمرار وعن التمكن والحلول والانتقال ، وليس العرش يحمله ولا الكرسى

(١) الطلاق : من الآية ١٢ .

يسنده ، بل العرش وحملته ، والكرسى وعظمته كل محمول بلطف قدرته ، ومقهور فى قبضته .

وماذا يضيرنا لو قلنا : إننا نؤمن بالله وبوجوده المتيقن المؤكد وبهيمنته على الخلق ، ولكننا لا ندرى أين هو ؟

وهل لو سألنى سائل عن رئيس من الرؤساء ، أموجود هو ؟ فقلت نعم ، هو موجود يأمر وينهى ويصرف الأمور ، فإذا سألنى وأين هو ؟ فقلت له : لا أدرى ، غير أنى أوقن أنه موجود ـ أيكون جوابى هذا حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه ؟ اللهم إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

وبعد هذا ، فأى لون يثبتون له ، وأى طول وأى عرض يصفونه به ؟ يقول الإمام الغزالى : (من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ، ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه) .

ولست أدرى : هل عرف هؤلاء حقيقة الروح التى يحيون بها حتى يتعرضوا للكلام فيمن ليس كمثله شىء .. سبحانه .

قال إمام الحرمين : إن اللّه خلق العرش من ذرة ، وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة ، فكيف يكون مستقره ؟

* وقال ذو النون المصرى - رضى اللّه عنه - وقد سئل عن التوحيد : التوحيد أن نعلم أن قدرة اللّه فى الأشياء بلا مزاج ، وصنيعه للأشياء بلاعلاج، وعلة كل شيء صنعه ،ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير اللّه تعالى ، وكل ما تصور فى وهمك فاللّه تعالى بخلاف ذلك .

* وقال يحيى الرازى رضى اللّه عنه وقد قيل له : أخبرنا عن اللّه تعالى ، فقال : إنه واحد . فقيل : كيف هو ؟ فقال : ملك قادر . فقيل : أين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك عن هذا ؟ فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرت عنه .

* وقال جعفر الصادق رضى اللّه عنه : من زعم أن اللّه سبحانه وتعالى فى شيء أو من شيء أو على شيء ، فقد أشرك باللّه ، إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان فى شيء

لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا ، تعالى الله عن ذلك .

* وقال بعض العلماء لتلميذ له يمتحنه : لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ فأى شيء تقول ؟ قال : كنت أقول : حيث لم يزل. قال : فإن قال لك : فأين كان فى الأزل فأى شيء تقول ؟ قال : أقول : حيث هو الآن ولا مكان ، فهو الآن على ما عليه كان . قال التلميذ : فارتضى الشيخ ذلك .

* * والخلاصة : أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها ، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ولا تقطع بتعيين تأويل منها، بل تكل ذلك إلى العليم الخبير ، ولكن لابد من التنزيه على كل حال (١) .

* * فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ حتى لا تضل أوتزل ، وحتى تكون أيضا فى نفس الوقت سليم العقيدة ..

وحسبك بعد كل هذا أن ننتفع بقول (جلال الدين

(١) راجع ٤، ٥ ، ٦، ج ٦ الفخر الرازى ، ومجلة نور الإسلام السنة الثانية ص ٢٨٢ .

السيوطى)[1] رحمه اللّه تعالى :

قـل لمـن يفهم عنـى مـا أقـول
قـصر القـول فـذا شرح يطـول

هـو سـر غامـض مـن دونـه
ضربت ـ واللـه ـ أعنـاق الفحول

أنـت لا تـعـرف إيـاك ولا
قـدر من أنت ولا كيـف الوصول

لا ، ولا تـدرى صـفات ركبـت
فيـك حارت فى خفـاياها العقول

أين مـنك الـروح فى جـوهرها
هـل تراها فتـرى كيـف تجـول ؟

هذه الأنفـاس هل تحصـرهـا ؟
لا ، ولا تـدرى متـى منـك تـزول

(١) وقد قرأت فى كتاب (إتحاف الكائنات) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى : أن قائل هذا هو الإمام الغزالى عليه رحمة الله ... والله أعلم

أين منك العقل والفهم إذا

غلب النوم فقل لى ياجهول ؟

أنت أكل الخبز لا تعرفه

كيف يجرى منك أم كيف تبول

فإذا كانت طواياك التى

بين جنبيك كذا فيها خلول

كيف تدرى من على العرش استوى

لا تقل كيف استوى كيف النزول

كيف تجلى الله أم كيف يرى

فلعمرى ليس ذا إلا فضول

هو لا كيف ولا أين له

وهو رب الكيف والكيف يحول

وَهْوَ فوق الفوق لا فوق له

وهو فى كل النواحى لا يزول

جــل ذاتاً وصــفــاتٍ وســـما

وتــعالى قـدره عمـــا أقـــول

* * ولتكن عقيدتك :

عقيدة أهل السنة

التى خلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جـازمـا بأن اللّه تعـالى إله واحـد ، منزه عن الشـريك والمعين ، والصاحبة والولد .. موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه .. مستغن عن كل ما سواه ، ومفتقر إليه كل ما عداه .. قائم بنفسه .. ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولابجسم فيكون له الجهة والتلقاء.. مقدس عن الجـهات والأقطار ، مـرئى للـمؤمنين بالقلوب فى الدنيـا وفى الآخرة بالأبصار .. استوى على العرش كـمـا قـال وعلى المعنى الذى أراد ، له الآخـرة والأولى ، لا يئـوده حـفظ المخلوقـات ، وهـو موجود بعلمه فى جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبَعْدِ ، فإن ذلك من صـفـات الزمان الذى أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان .. بل كـان ولا مكان ولا زمان ، وهوالآن على ما

عليه كان ، السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه ، خلق اللوح والقلم وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه ، فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه، أوجد الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب ذلك عليه ، إلا أن علمه قد سبق ، فلذلك خلق من خلق ، لم تتعلق قدرته إلا بما أراد ، كما أنه لم يرد إلا ما علم ، وأحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، يعلم السر وأخفى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [1] . علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدهاعلى حد ما علمها ، مريد لجميع الكائنات فى الأرضين والسموات ، فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولاخسران، ولا حياة ولاموت ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن . ولا ظاهر ولا باطن ، إلا وهو مراد للحق جل وعلا ، ولا معقب لحكمه ، ولا رأد لأمره ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء، أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى ، لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب إليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه إليه من الغير سؤال بلِمَ أو

---

(1) الملك : ١٤.

كيف ، فهو سبحانه كما قال في كتابه المكنون : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[1] .

فإن رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد فاصرف النظر عنهم ، وقل : ﴿ ... فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2]

يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء ، ويبصر السواد في الظلماء ، متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلي ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهاة ، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان ، وعلمه من غير نظر ولا برهان، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان .

وبالجملة .. فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، إذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث، بل كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

وكذلك يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا ، مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ،

---

(١) الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) الأنعام : من الآية ١٤٩ .

بعث إلى كافة الخلق أجمعين .. وقد خاطبه الله تعالى بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [1] .

فبلغ جميع ما أنزله الله إليه ، وأدى الأمانة ، ونصح للخليقة.. صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبى ﷺ حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [2] وأن العرض حق ، وأن الميزان حق ، وأن الحوض حق ، وأن الصراط حق ، وأن تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ماجاء به الأنبياء عن الله حق . فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة .. فاعمل بها ومت عليها . أ هـ

---

(١) الأحزاب : الآيتان ٤٥ و ٤٦

(٢) الحج : الآية ٧.

وأما عن الصفة الخامسة من الصفات الواجبة فى حق الله تعالى ، وهى :

(٥) قيامه تعالى بنفسه : فمعناها أنه تعالى موجود بلا موجد، وغنى عن كل ما سواه ، لقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿..وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ..﴾(٢)، ولأنه لو احتاج إلى شيء لكان حادثا ، وحدوثه محال ، فاحتياجه محال .

ومعناها أيضا : أنه (سبحانه) ليس مفتقرا إلى غيره ، فليس صفة فى حاجة إلى موصوف تقوم به ، ولا جسما فى حاجة إلى محل يشغله أو إلى أجزاء يتركب منها أوموجد يوجده ويخصصه ببعض ما يجوز عليه ، فهو الغنى المطلق عن كل ما سواه .

ليس صفة ؛ لأنه تعالى يتصف بالصفات الوجودية : كالعلم والقدرة ، والإرادة ونحوها ، والصفة لا تقوم بالصفة ، وإنما تقوم بالموصوف .

---

(١) فاطر : ١٥.

(٢) محمد : من الآية ٣٨ .

وليس جسما مفتقرا إلى المحل أو الموجد ؛ لأنه لو كان كذلك لكان حادثا ومماثلا للممكنات ، وواجب الوجود القديم ، مخالف للحوادث ، كما مر بك .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لغنى عن العالمين** ﴾ .

(٦) الوحدانية ، فى الذات ، والصفات ، والأفعال : ومعناها أن ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها اختياريها واضطراريها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) ، وقال ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ... ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) الأنبياء : من الآية ٢٢ .

(٣) الصافات : ٩٦ .

أى قل يأيها النبى لمن سألك عن صفة ربك جل وعلا : هو المعبود بحق ، المتصف بكل صفات الكمال ، الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، المقصود فى قضاء حوائج الخلق على الدوام ، الذى ليس بوالد ولا مولود ، ولا شبيه له ولا نظير.

فليس هناك ذات تماثل ذاته العلية ، وليس ثم من يتصف بصفة من صفات الألوهية ، أو يأتى بفعل من أفعالها سواه تعالى .

وقد ذكر فى كتاب (البحوث الدينية) بعض الأدلة على إثبات الوحدانية لله تبارك وتعالى ، فقال : ومن أدلة إثبات الوحدانية له ما يأتى :

أولا : أن العالم موجود ، ووجوده يدل على وجود الإله ؛ لأن كل أثر لابد له من مؤثر ، وهذا الإله إن كان واحدا فبها ، وإن كان معه إله آخر ، فإما أن يكون أحدهما كافيا أو غير كاف ، فإن كفى أحدهما كان وجود الآخر عبثا ، وإن لم يكف كان كلاهما عاجزا لا يصلح إلها .

ثانيا : أن تعدد واجب الوجود معناه أن هناك آلهة لكل ذات معينة ، وصفات معينة ، وكل واحد بمقتضى وجوده وما يتبعه من

الصفات ، له التصرف فى عامة الممكنات ، ولا يعقل مع هذا أن تتفق تصرفاتهم اتفاقا تاما ، وتلتئم التئاما دقيقا لتحقيق هذا النظام الذى نراه فى الكون ، بل لابد أن تتضارب أفعالهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل وجوده ، ولكنه كما نرى موجود محكم لا يعتريه اضطراب ، فلابد أن يكون الإله واحدا ، قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [1]. وقال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

ثالثا : لو تعددت الآلهة لحدث بينها ما يحدث بين الذوات المختلفة. من ذوى السلطان فى الأرض من التنافس والنزاع ، وتعالى بعضهم على بعض ، وتفرد كل بملكه واستقلاله فيه بما يشاء من تصرف. وتلك صورة مضحكة أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إله ، يذهب كل إله بمخلوقاته كما تصور الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

---

(١) الأنبياء : من الآية ٢٢ .

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (1) .

وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال الأزهرى : الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، تقول: ماجاءنى أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد ، تقول : جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد ، فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ، والأحد منفرد بالمعنى . أ هـ .

والمراد اتصافه تعالى بالوحدانية : (ذاتا) ، أى فى ذاته سبحانه، وهو انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى ، بمعنى عدم قبولها الانقسام والتبعيض والتجزىء وإلا لكان مركبا فى ذاته ، وكل مركب حادث كما مر .

(وفِعْلاً) ، أى فى أفعاله تعالى ، وهو انفراده تعالى باختراع الكائنات عموما وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى فى شىء من الممكنات .

(وصفةً) ، أى فى صفاته سبحانه ، فلا تعدد لصفة من صفاته تعالى ، بل كل صفة من صفاته واحدة ولا يتصف غيره بصفة تشبه صفة من صفاته تعالى .

---

(1) المؤمنون : 91 .

* * ولله در من قال فى منظومته [1] :

مـعـرفة اللـه عـليـك تفـتـرض
بـأنـه لا جـوهـر ولا عَـرَضْ
وليـس يحـويه مـكـان لا ، ولا
تـدركه الـعـقـول جـل وعَـلا
لا ذاتـه تـشـبـهـه الـذواتُ [2]
ولا حكت [3] صفاته [4] الصفاتُ [5]
ومـا لـه فـى مـلكـه وزيـر
ولا لـه مِثْـلٌ ولا نـظـيـر

---

(١) الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى الحنفى . رحمه الله تعالى .

(٢) الحادثة كلها ما كان منها وما لم يكن .

(٣) أى ماثلت وشابهت .

(٤) أى أسماؤه الأزلية القديمة .

(٥) الأسماء كلها .

فَـرْدٌ لــه مـن تتــم المـعــرفـة

وواحد ذاتـا وفِــعْـلاً ، و صِـفَــهْ

وهـو الـقــديم وحــده والبـــاقى

فى القـيد نـحـن وَهْوَ فى الإطــلاق

حــى عـليــم قــادر مـريـــدُ

فـى خـلـقـه يفـعـل مــا يـريــدُ

وهـــو السـمـيـع والبصـير لـم يـزلْ

بغـيـــر مـــا جـــارحة مـــن الأزلْ

لـه كـــلام ليـــس كـالمعـــروفِ

جل عن الأصـــوات والحـــروفِ

وبقضــــاء اللــــــه والتـقـــديـر

جميع ما يجـرى مـــن الأمـــورِ

وكل مـا يوجد من فـــعـل البـشرْ

فإنـه بخـلـقـــه خيــر وشـــر

كلَّفَ عبـــده ومـا قـــد جـــارا

وهـــو الذى يجعـــله مختـــــارا

أرســـل رُسْلَـــــه الكـــرامَ فينـــا

مبـــشـــرين بـــل ومـــنـــذرينـا

(٧) الحياة : وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، وما إلى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى (وحياته) ليست بروح . ودليلها قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[١] ، قوله ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ...﴾[٢] ، وقوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ... ﴾[٣] .

وهناك فرق بين حياة الله وحياة عباده ، فحياته كوجوده واجبة لا تقبل الانتفاء ، أزلية لا أول لها ، وأبدية لا نهاية

---

(١) آل عمران : الآية ٢ .

(٢) طه : من الآية ١١١

(٣) الفرقان: من الآية ٥٨ .

لها ، أما حياة العباد فهى ممكنة ، حادثة تبدأ وتنتهى بإرادة الله، كما أن حياته جل شأنه منزهة عن الأعراض التى تتمثل بها حياة العباد، من وجود الروح ، وسريانها فى الأعضاء ، وقيام كل عضو منها بوظيفة خاصة ، وما يستتبع ذلك من الحركة ، والنماء ، والحاجة إلى التغذية ، وعوامل الحياة ، ثم ما يعقبه من التدهور والموت ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والدليل العقلى على ثبوت صفة الحياة لله تعالى : أنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو الموت ، ولو اتصف بالموت لما صح اتصافه بالعلم والإرادة وباقى صفات المعانى والمعنوية ؛ إذ يستحيل أن يكون غير الحى عالما مريدا ، لكن ثبت اتصافه بتلك الصفات ، فوجب اتصافه بالحياة .

والدليل النقلى : هو قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ... ﴾[1] .

(٨) العلم : وهو صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا كان أو جائزا ، وبكل معدوم مستحيلا كان أو

---

(١) الفرقان : من الآية ٥٨ .

ممكنا. فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وأنها قديمة لا تقبل العدم. ويعلم أنه لا شريك له وأن وجود الشريك محال . ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه . ويعلم فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحدة ، فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه . ويعلم أفعالهم وكل ما يكون منهم . ويعلم أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية .. قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ... يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦) .

---

(١) الملك الآية ١٤ .
(٢) طه : ، الآية ٩٨ .
(٣) البقرة ، من الآية ٢٥٥ .
(٤) الحشر : من الآية ٢٢ .
(٥) غافر : ١٩ .
(٦) الأنفال : الآية ٧٥ .

ومن الأدلة العقلية على هذا : أنه تعالى لو لم يكن عالما لكان جاهلا ، ولو كان جاهلا لكان حادثا ، وحدوثه محال لما سبق ، فالجهل عليه تعالى محال .

وعلم اللّه تعالى ، لا يماثل علم المخلوقات بوجه من الوجوه.؛ لأن علمه تعالى واجب لذاته وليس عارضا أو مكتسبا بأية آلة أو وسيلة ، وهو أزلى قديم باق لا ينفك عن الذات ، كما أنه عام شامل لجميع الواجبات ، والمستحيلات والممكنات ، من كليات العالم وجزئياته ، فيعلم ـ سبحانه ـ الواجب وأنه واجب ، ويعلم المستحيل واستحالته ، كما يعلم الممكن سواء أكان موجودا أم معدوما ، سيوجد أم لا يوجد ، لا يعزب عن علمه تعالى شيء فى الأرض ولا فى السماء .

أما علم العباد فعارض مكتسب ، وحادث يتجدد فى كل زمان، وهو ـ كوجودهم ـ له أجل ينتهى عنده ، ثم هو قاصر محدود ، فما أكثر ما يجهل العباد من حقائق الكون ومخلوقات اللّه ، قال تعالى :

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) ، وقال ﴿ ... وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

(٩) الإرادة : وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق فى زمن دون غيره ، وفى مكان دون آخر ، وهكذا ، لقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ... ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ... ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ (٧) .

---

(١) العلق : ٥ .

(٢) النحل : من الآية ٨ .

(٣) القصص : من الآية ٦٨ .

(٤) الشورى : الآية ٤٩ .

(٥) البروج : الآية ١٦ .

(٦) الأنعام : من الآية ١٢٥ .

(٧) البقرة : من الآية ١٨٥ .

وقد قرأت توضيحا لهذا في (البحوث الدينية) جاء فيه :
فالإنسان مثلا يقبل أن تتوارد عليه صفات متعددة : من طول أو قصر ، وبياض أو سواد ، وملاحة أو قبح ، وذكاء أو غباوة ، ونحو ذلك ، كما يقبل أن يكون مؤمنا أو كافرا ، وأن يكون بَـرّاً تقيا ، أو جبارا عَصِيّاً .

وتخصيص اللّه له ببعض هذه الصفات دون بعض هو مفهوم الإرادة بالنسبة له ، وهكذا سائر الممكنات . فإن إرادته تعالى تتعلق بها تعلق تخصيص، بمعنى أنها تخصص فى الأزل كل ممكن بصفات معينة يوجد عليها ، وفى زمن خاص يوجد فيه .

أما الواجبات والمستحيلات فلا تتعلق بها الإرادة ؛ لأن الواجب موجود لا يقبل الانتفاء ، والمستحيل معدوم لا يقبل الوجود ، فلا معنى للإرادة معهما . وليس معنى الإرادة فى جانب اللّه تعالى ما يتبادر إلى الذهن من الرغبة فى تنفيذ شيء أو العدول عنه ؛ لأن هذه الحالة تعد نقصا فى جانبه تعالى ؛ إذ هى تقتضى قصور العلم، وعدم الإحاطة ، والتردد بين البواعث على الفعل أو الترك ، وهذا محال عليه جل شأنه .

إن إرادته واجبة ، قديمة ، باقية ، تامة ، ولا كذلك إرادة العباد فهى ممكنة كذواتهم ، حادثة ، فانية ، قاصرة تقف عند حد خاص، ولا تتناول إلا بعض الممكنات .

ومما يدل على ثبوت الإرادة له ـ سبحانه ـ أنه لو لم يكن مريداً لحدث فى ملكه مالا يقصده أو ما أُكْرِه عليه ، وذلك عجز لا يليق بكماله تعالى ... ثم يقول :

وقد ثبت لك أنه واجب الوجود ، وأن كل شيء من الممكنات مخلوق له ، وأنه يوجد على قدر مخصوص ، وصفات معينة ، وفى زمان ومكان محدودين ، وهذه إما أن تكون على وفق علمه تعالى أو لا ، فإن كانت موافقة له فتلك هى الإرادة التى يعنيها علماء الكلام .

وإن كانت غير موافقة له ، كان هذا العلم ناقصا ، وقد ثبت كماله فيما تقدم ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ... ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣) .

---

(١) القصص : من الآية ٦٨ .

(٢) البروج : ١٦ .

(٣) القمر : ٤٩ .

وهنا نعرض لشبهة كثيرا ما تتردد على الأذهان ، مثيرة للحيرة والاضطراب ، وهى : ما دام كل شىء يحدث على وفق علم اللّه، وعلى حسب ما أراده ، فكيف يحاسب الإنسان على أفعاله ، وهو لا يستطيع أن يأتى بشىء لم يعلمه اللّه ، ولم يرده ، أو يتخلى عن شىء علمه وأراده ؟

وتلك هى مشكلة القضاء والقدر ، والجبر والاختيار التى شغلت أذهان الباحثين من علماء الكلام ، واختلفوا فيها اختلافا كثيرا .

* * ولهذا ، فإننى أرى ـ وقبل أن أعود مرة أخرى إلى إتمام هذا الموضوع ـ أن نقف هنا على ما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » تحت عنوان :

الإرادة والأمر

مذهب أهل السنة فى إرادة اللّه تعالى :

ذهب أهل السنة إلى القول بأن اللّه تعالى يريد الخير والشر ، وأن كل ما تحقق فى الكون من خير أو شر فهو مراد له تعالى سواء أمر به أَوْ لا ، وأن كل ما لم يتحقق فى الكون فهو غير مراد له

تعالى سواء أمر به أوْ لا .. فالأقسام أربعة :

١ - مأمور به ومراد . ٢ - وعكسه [1].

٣ - ومأمور غير مراد . ٤ - وعكسه [2].

واستدلوا على مذهبهم هذا بأدلة كثيرة منها :

١ - إجماع الأمة من عهد النبوة على القول بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد ورد هذا اللفظ مرفوعا إلى النبى ﷺ فيكون سندا للإجماع .

٢- الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [3].

* * وأما مذهب أهل السنة فى الإرادة والأمر :

فقد ذهب أهل السنة إلى أن الإرادة غير الأمر ، وإنه لا تلازم بينهما ، أما أن الإرادة غير الأمر فلأن الإرادة صفة تخصص الممكن

(١) أى أنه سبحانه قد لا يأمر بالشىء ولا يريده

(٢) أى أنه سبحانه قد لا يأمر بالشىء ويريده

(٣) الأنعام : من الآية ١٢٥ .

ببعض ما يجوز عليه ، والأمر يرجع للكلام النفسى كالنهى . وأما أنه لا تلازم بينهما فلأنهما قد يجتمعان فى شىء كإيمان أبى بكر وقد ينفردان كما فى إيمان أبى جهل ، فإنه مأمور به غير مراد ، ومما يدل على تغاير الإرادة والأمر وعدم تلازمهما قوله ﷺ ، (**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**) لأن معنى (ما شاء الله كان) ما أراده الله وقع ، فيؤخذ منه صراحة أن الإيمان من الكفار غير مراد لله ـ مع أنه أمر به ؛ لأنه تعالى لو أراده لوقع . ومعنى (وما لم يشأ لم يكن) : وما لم يرده لا يقع ، فيؤخذ منه صراحة أن المعاصى مرادة لله ـ مع أنه تعالى لم يأمر بها بل نهى عنها : ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ...﴾ [1] ـ لأنه تعالى لو لم يردها لما وقعت .. ويتفرع على مذهب أهل السنة

١ – أن الله يأمر بشىء ويريده كإيمان المؤمنين .

٢ – وقد لا يأمر بشىء ولا يريده كالكفر من المؤمنين .

٣ – وقد يأمر بشىء ولا يريده كالإيمان من الكافرين .

---

(١) الأعراف : من الآية ٢٨ .

٤- وقد لا يأمر بشيء ويريده ككفر الكافرين .

فاعلم أن أهل السنة بنوا مذهبهم في إرادة الله على مذهبهم في الإرادة والأمر .

* * وأما مذهب المعتزلة في إرادة الله تعالى فقد ذهب المعتزلة إلى القول بأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر ، وبنوا مذهبهم هذا على مذهبهم في الإرادة والأمر :

فقد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الإرادة عين الأمر ، فأمر الله بشيء عين إرادته لذلك الشيء .. وذهب آخرون منهم إلى أن الإرادة تغاير الأمر إلا أن بينهما تلازما في التعلق ، فما أمر به تعالى أراده ، وما لم يأمر به لم يرده ، وبنى الفريقان على هذا المذهب أن الله تعالى لا يريد المعاصي كما ذكرنا آنفا ، ويلزم على هذا المذهب أمران :

١ - أن يقع في ملكه تعالى ما لا يريده ؛ لأنهم قالوا إنه تعالى لم يرد المعاصي لأنه لم يأمر بها ، مع أن المعاصي قد وقعت بالفعل.

٢ - أن يتخلف مراد الله تعالى ؛ لأنهم قالوا إنه تعالى أراد الإيمان من جميع الناس لأنه أمرهم به إلا أن منهم من آمن ومنهم من

كفر ، فإيمان من كفر قد تخلف .. وهذان الأمران باطلان على مذهب أهل السنة .

وأدلتهم على هذا ـ وهو أن الله تعالى لا يريد المعاصى : فقد استدل المعتزلة ـ هؤلاء ـ على أن الله لا يريد المعاصى بأدلة منها :

١ - أن المعاصى قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة ، كما أن خلق القبيح عندهم قبيح ، والله تعالى منزه عن القبائح ، فهو لا يريدها ولا يخلقها أيضا ، فعندهم أن أكثر ما يقع من أفعال العباد ليس بإرادة الله ولا بخلقه وإيجاده ، وإنما هو بمراد العبد وإيجاده .

٢ - أنه تعالى لو أراد المعاصى لأمر بها ، لكنه لم يأمر بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ (١) فلم يردها .

واعترض أهل السنة على الدليل الأول ، بأن إرادة القبيح ليست قبيحة ، إنما القبيح اكتساب القبائح والاتصاف بها ، واعترضوا على الثانى ، بأنه مبنى على القول باتحاد الإرادة والأمر أو تلازمهما ، وقد بينا أنه لا اتحاد ولا تلازم بينهما ، فلا يلزم من عدم الأمر بالمعاصى عدم إرادتها ، بل يريدها ولا يأمر بها ، وإلى

---

(١) الأعراف : من الآية ٢٨ .

هذا أشار صاحب (الخريدة) بقوله :

...		...		...

وكـــل شـــىء كـــائـن أراده

وإن يكـــن بضــــــده قــد أمــرا

فالقــصــد غير الأمر فاطـرح المِـراَ

فقد علــمت أربــعـا أقســامـا

فى الكائنـات فاحـفظ المقـــامـا

المعنى (كائن) أى موجود خيرا كان أو شرا (أراده) أى أراد اللّه وجوده ، فلا يقع فى ملكه إلا ما يريد . وهذه إشارة لمذهب أهل السنة فى الإرادة (وإن يكن بضده قد أمرا) أى بضد ذلك الكائن المراد ، أى وإن كان ذلك الكائن قد أمر اللّه تعالى بضده ككفر أبى جهل فإنه كائن ، وقد أمر اللّه بضده وهوالإيمان ونهى عن الكفر، ومع ذلك هو مراد اللّه تعالى بدليل وقوعه (فالقصد غير الأمر) أى فالإرادة مغايرة للأمر ، بل ولا تستلزمه كما أن الأمر لا يستلزمها ، وهذا إشارة إلى مذهب أهل السنة فى الإرادة

والأمر (فاطرح المرا) أى فاترك الجدال والنزاع الباطل من المعتزلة الذاهبين إلى أنه تعالى يقع فى ملكه ما لا يريده ـ وقد بينا مذهبهم فيما سبق ـ (فقد علمت) من قولنا : وكل شىء كائن أراده ـ وإن يكن بضده قد أمرا ـ منطوقا (وهو إن شاء وقع وإن لم يأمر به) ومفهوما ، (وهو إن لم يشأه لم يقع وإن أمر به) . (أربعا أقساما) أقساما عطف بيان لأربع (فى الكائنات) جمع كائنة أى فى الموجودات ، وهذا إشارة للأقسام الأربعة المتفرعة من مذهب أهل السنة (فاحفظ) هذا (المقاما) فإنه قد زلت فيه أقدام المعتزلة .

* والخلاصة التى نريد أن نعود إليها هى كما جاء فى « البحوث الدينية » :

أنه سبحانه وتعالى عليم محيط بأحوال خلقه من الأزل إلى الأبد، وأن كل ما يحدث فى ملكه يقع على وفق علمه ، فهو يعلم حالة عبده ، وما يكون منه من كفر وإيمان ، ومعصية وطاعة، وإساءة وإحسان ، لابد أن يكون مايصدر عن العبد موافقا لهذا العلم.

ولكن هذا الانكشاف لا أثر له فى توجيه الإنسان وجهة خاصة ، ولا فى إكراهه على سلوك ناحية معينة ؛ لأن العلم ليس

صفة مؤثرة .

والمرء لا يدرى ما قدر له ، ولتستبين ذلك نسوق لك هذا المثال: إن الفلكى يستطيع بمقاييسه وقوانينه أن يخبر عن خسوف للقمر يحدد يومه وزمنه بالساعة والدقيقة ، ومدة مكثه ومقداره ، والأقاليم التى يشملها ، ثم يحدث هذا كله طبقا لما أخبر به تماما . فهل كان علمه مؤثرا فى حدوث هذا الخسوف ؟

كلا إن العلم لا أثر له فى شىء من ذلك ، وإنما هو مجرد إحاطة وانكشاف .

وكذلك إرادة الله ليست إلزاما منه لعبده أن يأتى بأفعال خاصة، وإنما هى تقدير هذه الأفعال حسب علمه تعالى بما سيكون من الشخص من رغبة فى الخير وإقبال عليه ، أو زهد فيه وإعراض عنه، وبما يسوقه إليه اختياره من الطاعة أو المعصية .

فللمرء اختياره وقدرته على تصريف شئونه ، والإقدام على فعل الشىء أو تركه ، وعلم الله الواسع الشامل يكشف ما سيكون منه من خير أو شر .

وإرادته تعالى تبعا لهذا العالم تخصص ما سيقع من أفعاله ، وليس فى هذا كله شىء من الجبر أو الإكراه ، كما لايخفى .

ولو رجع الإنسان إلى نفسه لرأى أنه يشعر باختياره إلى حد كبير ، وأنه يزن الأمور ويقدرها بعقله ، ثم يفعل ما يفعل ، ويدع ما يدع بإرادته ، وبسبب هذا الاختيار وتلك القدرة يعاقب الإنسان أو يثاب على عمله ، ولو كان مكرها على أفعاله ما كان خليقا بإثابة ، ولا مستحقا لعقاب ، ومن أجل هذا رفع الشرع عن الشخص تبعة الأعمال التى يأتيها من غير قصد واختيار . قال ﷺ :

(**رفِعَ عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**) .

* * وإتماما للفائدة فى هذا الباب بالذات أرى أن أسجل هنا مسألتين من المسائل التى أوردها صاحب كتاب (معارج القبول) ، وهما :

* المسألة الأولى ، يقول فيها :

فإن قيل قد أخبرنا اللّه عز وجل فى كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفات أنه يحب المحسنين ، ويحب المتقين ،

ويحب الصابرين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يحب الظالمين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك ، فإنه لا يكون فى ملكه ما لا يريد ، فما الجواب ؟ قلنا :

إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كونى وشرعى، ولفظ المشيئة لم يرد إلا فى الكونى ، كقوله تعالى :

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ... ﴾ (١) .

ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ... ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٣) .

ومثال القضاء الكونى قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

---

(١) الإنسان : من الآية ٣٠ .

(٢) الرعد : من الآية ١١ .

(٣) يس : ٨٢ .

(٤) البقرة : من الآية ١١٧ .

ومثال الأمر الكوني قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1]. فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة ، وقدرته النافذة، وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها . ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا ، بل يدخل فيها الكفر والإيمان، والسيئات والطاعات ، والمحبوب المرضى له ، والمكروه المبغض ، كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه ، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة .

ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ... ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[4]

---

(١) الإسراء : ١٦ .

(٢) البقرة : من الآية ١٨٥ .

(٣) النساء : من الآية ٢٦ .

(٤) النساء : ٢٧ .

ومثال القضاء الشرعي ، قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا.. ﴾ (١) .

ومثال الأمر الشرعي ، قوله تعالى : : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وهذه الإرادة والقضاء والأمر الشرعي هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه ، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه . ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع ، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء ، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدى لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣) ، فعمم الدعوة إلى جنته التي هي دار السلام وأنه

---

(١) الإسراء : من الآية ٢٣ .

(٢) النحل : ٩٠ .

(٣) يونس : ٢٥ .

يدعو إلى ذلك جميع عباده وهوأعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب ، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى : ﴿... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ...﴾ (١) .

* وفى المسألة الثانية يقول :

فإن قيل : أليس بممكن فى قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين ؟ قلنا :

قدمنا لك أن هذا الذى فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته ، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ، فحينئذ قول القائل : لم كان من عباده الطائع والعاصى ؟ كقول من قال : لم كان من أسمائه الضار النافع ، والمعطى المانع، والخافض الرافع ، والمنعم والمنتقم ونحو ذلك . إذ أفعاله تعالى هى مقتضى أسمائه وآثاره وصفاته .

فالاعتراض عليه فى أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته ، بل وعلى إلهيته وربوبيته ، فسبحان رب العرش عما يصفون ،

---

(١) النور : من الآية ٣٥ .

﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [1] .

* * وقد قرأت حول هذا المعنى الأخير أن شيطانا من شياطين الإنس جلس في مجلس الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم وجه إليه السؤال الآتي بُغْيَةَ إحداث فتنة أو خلخلة في عقول ضعفاء الإيمان ، فقال : يا إمام المسلمين ، ما قولك فيمن خلقني كما اختار ، واستخدمني فيما اختار.. وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة ، وإن شاء أدخلني النار ، أَعَدَلَ في ذلك أم جار ؟

فقال الإمام بنور من الله تبارك وتعالى : يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل .

* * ومن أجمل ما قرأت كذلك حول هذا الموضوع ما رواه النيسابوري في تفسيره بإسناده :

* أن على بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ سأله سائل عن القدر، فقال : بحر عميق لا تخض فيه ، فقال : ياأمير المؤمنين ،

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

أخبرنى عن القدر ؟ فقال : سر خفى لا تفشه ، فقال يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن القدر . فقال على رضى اللّه عنه : يا سائل، إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . فقال : إن اللّه يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال كما يشاء . فقال : يا سائل ، لك مشيئة مع اللّه أوفوق مشيئته ، أو دون مشيئته ؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته . ثم قال : ألست تسأل اللّه العافية ؟ قال: نعم . قال : فَمِنْ ماذا تسأله العافية ؟ أَمِنْ بلاء ابتلاك به ، أو من بلاء غيره ابتلاك ؟ قال : من بلاء ابتلانى به . فقال : ألست تقول : « لا حول ولا قوة إلابالله العلى العظيم » ؟ قال : بلى ، قال: تعرف تفسيرها ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، علمنى مما علمك اللّه . فقال : تفسيرها أن العبد لا قدرة له على طاعة اللّه ولا معصيته إلا باللّه عز وجل . يا سائل ، إن اللّه يسقم ويداوى ، منه الداء، ومنه الدواء، اعقل عن اللّه عز وجل، فقال السائل :عقلت. فقال له : الآن صرت مسلما . قوموا إلى أخيكم المسلم فخذوا بيده. ثم قال على رضى اللّه عنه وأرضاه : لو وجدت رجلا من

أهل القدر لأَخَذْتُ بعنقه ، ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه ، فإنهم يهود هذه الأمة .

* * فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ حتى لا تكون ـ والعياذ بالله ـ قَدَرِياً ، وحتى لا تلعب شياطين الإنس والجن بك .

* * وأما عن الصفة العاشرة من الصفات الواجبة في حق الله تعالى وهي:

(١٠) القدرة ، فهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى ﴿ ... وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (٣) .

ولأنه لو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، وعجزه محال ، كيف وهو خالق كل شيء؟

---

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) التغابن : من الآية ١ .

(٣) الكهف : من الآية ٤٥ .

ومن اليسير عليك بعد أن عرفت أنه سبحانه واجب الوجود ، وأن الممكنات قد صدرت عنه ، وكانت على حسب علمه ، وعلى وفق إرادته ـ أن تسلم بأنه قادر ؛ لأن القدرة ليست شيئا أكثر من سلطاته على تنفيذ ما علم وأراد .

على أن خلق هذا الكون الفسيح ، وإحكامه ، ونواميسه ، واطراد سيره ، وما به من مجالى الدقة والإبداع : لا يمكن أن يصدر إلا عن قدرة باهرة وسلطة لا تحد .

وكيف يكون الله عاجزا ، ومقام الألوهية يقتضى الاتصاف بكل كمال، والتنزه عن كل نقص ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1)

* وقد أشار فى (الدين الخالص) جـ ١ إلى ملاحظة هامة بتعلق الإرادة والقدرة ، فقال :

ـ إن الإرادة والقدرة يتعلقان بكل ممكن من أفعالنا الاختيارية وما له سبب له كالإحراق عند مماسة النار ، وما لا سبب له كخلق

---

(1) البقرة : من الآية ٢٠ .

السماء .

وتعلق القدرة فرع تعلق الإرادة الذى هو فرع تعلق العلم؛ إذ لا يوجد الله تعالى شيئا ولا يعدمه إلا إذا أراد وجوده أو إعدامه ، وقد سبق فى علمه أنه يكون أو لا يكون

(١١) السمع : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا أو ممكنا صوتا أو لونا أو ذاتا أو غيرها ، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

(١٢) البصر : وهو صفة وجودية قديمة بالذات العلية تحيط بكل موجود ـ واجبا أو جائزا جسما أو لونا أو صوتا أو غيرها بلا حدقة ـ إحاطة غير إحاطة العلم والسمع .

والدليل على أنه تعالى سميع بصير قوله تعالى : ﴿...فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] ، قوله تعالى : ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٢] ، ولأنه تعالى لو لم يكن

(١) غافر : من الآية ٥٦ .

(٢) الحج : من الآية ٧٥ .

سميعا بصيرا لكان أصم أعمى ، وهو نقص ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(١٣) الكلام : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجبا أو جائزا ، وعلى كل معدوم محالا أو جائزا . وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل ؛ لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهى محالة عليه تعالى ، ودليله قوله تعالى : ﴿.. وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [١] ، ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم ، والبكم نقص محال فى حقه تعالى . والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وباقى الكتب المنزلة ، تدل على بعض ما يدل عليه الكلام القديم ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [٢]، وقال : ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا

(١) النساء : من الآية ١٦٤ .

(٢) الكهف : الآية ١٠٩ .

نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ... ﴾ (١) .

** وحول هذه الصفات الثلاث ـ السمع ، والبصر ، والكلام ـ قرأت تعليقا هاما فى كتاب : « البحوث الدينية ـ التوحيد» أرى من الخير كذلك أن أضيفه حتى ننتفع به ، وهو :

أن هذه الصفات الثلاث لا يهتدى النظر وحده إليها ، بعد أن أثبت لواجب الوجود صفة العلم الذى يتحقق به الانكشاف التام لجميع الكليات والجزئيات ، ولكن القرآن قد صرح بها فى كثير من مواطنه ، قال تعالى : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ وقال جل شأنه: ﴿... وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿... يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ...﴾ (٣) .

ومن أجل هذا سميت بالصفات السمعية ؛ لأن طريق إثباتها السمع .

---

(١) لقمان : من الآية ٢٧ .
(٢) النساء : من الآية ١٦٤ .
(٣) الأعراف : من الآية ١٤٤ .

وليس يصعب على العقل التسليم بها والبرهنة عليها ، فيجب الاعتقاد بها بشرط حملها على ما يناسب كماله تعالى ، ويليق بذاته العلية .

فالسمع صفة تنكشف له بها الأصوات ما ظهر منها وما خفي. والبصر صفة تنكشف له بها المرئيات دقيقها وجليلها . فهما يتعلقان بالموجود من المسموعات والمبصرات ، ولا يتعلقان بالمعدوم منها . ولكن سمعه تعالى وبصره يختلفان عن سمع العباد وبصرهم، فسمعه جل شأنه بغير أُذُن ، أو آلة، ولا تلقى موجات صوتية ، ولا غير ذلك من شرائط السمع المعهودة لنا . وبصره بغير عين ولا حدقة ، ولا اتصال أشعة ، ولا مقابلة مرئى، ولا غيرها مما يلابس رؤيتنا المعتادة .

وسمعه وبصره فى نهاية الكمال ، فهو يسمع كل مسموع ، ويبصر كل مبصر بلا فرق بين بعيد وقريب ، وظاهر وخفى ، ودون أن يشغله شيء عن شيء ، كما أنهما ليسا من وسائط علمه ، فَعِلْمُه ـ جل وعلا ـ إحاطةٌ تامة بلا سبب أو وسيلة ، وهما أيضاً صفتان واجبتان لذاته العلية ، قديمتان بِقِدَمِه باقيتان

ببقائه ، بخلاف سمع العباد وبصرهم فى كل ذلك .

والكلام صفة يتأتى أن يفهم بها ـ جل شأنه ـ من أراد من عباده ما شاء أن يفهمه له .

وكما يطلق لفظ العلم الذى يستعمله البشر لأنفسهم الإلهى المحيط بكل شيء ، كذلك يطلق لفظ الكلام على هذه الصفة الإلهية .

وهى تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات على السواء ، فيكشف بها اللّه تعالى لمن يشاء من خلقه كملائكته ورسله ما شاء من واجب ومستحيل وجائز . ولكن كلامه تعالى بلا لسان،ولا شفة ، ولا أعضاء نطق ، ولا حروف ولا صوت ، ثم هو ذاتى ، قديم ، باق ، ولا كذلك كلام الحوادث . وقد لا يراد بكلام اللّه هذه الصفة النفسية ، بل يراد به ما نزل على رسله من الكتب السماوية ، وهو بهذا المعنى يعتبر حادثا مخلوقا له تعالى. ومما يستدل به عقلا على إثبات هذه الصفة له أنه هو الذى يمنحها خلقه ، وليس من المعقول أن يمنحهم ما لا يملك . ثم إنها كمال فى الموجودات ، ولا يتصور أن يكون الإله أقل كمالا من مخلوقاته.

ولو لم يكن سبحانه متصفا بها لا تصف بأضدادها ، وذلك نقص ، والنقص عليه محال .

* وقد ختم (إمام أهل السنة الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من (الدين الخالص)ـ الحديث عن الصفات الواجبة فى حق الله تعالى ، بقوله :

وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال ، والجمال ، والعزة ، والعظمة ، والكبرياء ، والقوة ـ وهى غير القدرة ـ والوجه ، والنفس ، والعين ، واليد، والأصابع ، والقدم ، والمحبة ، والرضا ، والفرح ، والضحك ، والغضب ، والكراهية ، والعجب ، والمكر ، ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة ، فيجب الإيمان به بلا كيف فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى . ونفوض معرفة ذلك وتفصيله إلى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ؛ لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ، ولكن نقول يده صفة له بلا كيف .. وهكذا . وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير إرادة الانتقام ، بل من صفاته بلا كيف ، وهذا مذهب السلف فى المتشابهات . وبه نقول ، ثم يقول :

هذا ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلا من الواجب فى حقه تعالى.

(وأما الواجب) معرفته إجمالا فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلا، ويعلم أنها لا نهاية لها ؛ لأنه لو انتفى عنه تعالى شىء من الكمال الذى يليق به لكان ناقصا ، والنقص محال فى حقه ؛ لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى .

* * وأما عن :

المستحيل في حق الله تعالى

فيقول ما نصه :

يستحيل فى حقه تعالى بالأدلة التفصيلية السابقة ثلاث عشرة صفة مقابلة للصفات الواجبة له تعالى على الترتيب السابق . وهى : العدم ، والحدوث ـ وهو الوجود بعد عدم ـ والفناء ، ومماثلته تعالى للحوادث ـ (فى الذات) بأن يكون جسما مركبا ، أو حالاً فى مكان ، أو مخصوصا بزمان ، أو موصوفا بالْكِبَرِ أو بالصِّغَرِ ، أو يكون

له شبيه (وفى الصفات) بأن تكون حياته كحياة الحوادث ، وعلمه كعلمهم وهكذا (وفى الأفعال) بألا يكون مؤثرا فى شيء، وإنما له مجرد الكسب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فهو لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ولا يحده مقدار، ولا تحويه أقطار ، لقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ)

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى احتياجه لموجد أو ذات يقوم بها . والتعدد فى (الذات) بأن يكون مركبا يقبل الانقسام أو يكون هناك ذات كذاته (وفى الصفات) بأن يكون له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، أو يكون لغيره صفة كصفته .

(وفى الأفعال) بأن يكون لغيره تأثير فى شيء من الأشياء بطبعه أو بقوة مودعة فيه . فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة خلقت فيها ، وإنما الخالق للإحراق هو الله تعالى عند خلقه النار . ولو شاء خلق النار دون الإحراق لكان ، كما حصل لخليله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وليس الماء مرويا بطبعه ولا بقوة خلقت فيه وإنما الخالق للرى الله تعالى عند شرب الماء . وليس الملبوس ساترا وواقيا البرد أو الحر بنفسه ولا بقوة خلقت فيه . بل الخالق لما ذكر هو الله تعالى عند لبس الثياب . فمن يعتقد تأثير

شىء من الأسباب فى مسببه بطبعه فهو كافر أو بقوة خلقها الله فيه فهو فاسق . ومن اعتقد عدم تأثيرها ، وأن الله هو المؤثر ولكن يستحيل خلق السبب بدون مسببه أو عكسه فهو مؤمن يخشى عليه إنكار معجزات الأنبياء فيكفر ، أو إنكار كرامات الأولياء فيفسق .

والاعتقاد الصحيح : اعتقاد أن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى مع إمكان تخلف أحدهما عن الآخر خرقا للعادة .

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم ، والإغماء . قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ . (ومنه) الجهل وما فى معناه كالظن، والشك ، والوهم ، والغفلة، والذهول ، والنسيان . (ومنه) وجود شىء من الحوادث بلا إرادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة . فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر إلا بقضائه وقَدَرِه .

(ومنه) العجز عن ممكن ما ، والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات (ومنه) العمى وما فى معناه كالعشا ـ بفتحتين

مقصورا ـ : وهو عدم الإبصار ليلا ـ والجهر ـ بفتحتين : وهو عدم الإبصار نهارا . (ومنه) البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالفهاهة والعى والسكوت وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات.

هـذا مـا دلـت عـليـه استـحـالتـه في حـق الله الأدلة التـفـصـيلية ، وهي أدلة الواجب التـفـصـيلى ، ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن كل نقص ، كما أنه متصف بكل كمال .

* * وقد قال صاحب (الخريدة) مشيرا إلى المستحيل فى حقه تعالى ودليل الاستحالة بقوله :

ويستـحيل ضـد مـا تـقـدمـا
من الصـفات الشامخـات فاعـلَمـا
لأنه لو لـم يـكن مـوصـوفـاً
بهـــا لكان بالسِّـــوَى معـــروفاً

وكـل مـن قـام بـه سـواهـا

فهو الذى فى الفقر قـد تنـاهى

والـواحد المعبـود لا يفـتـقـر

لغيـره جـل الغـنى المقتـدر

ومعنى هذه الأبيات [1] هو :

(ويستحيل) عليه تعالى (ضد ما تقدم) المراد بالضد هنا الضد اللغوى، وهو مطلق المنافى سواء كان وجوديا أو عدميا ، فكأنه قال : ويستحيل عليه تعالى كل ما ينافى ما تقدم (من الصفات) أى الصفات النفسية والسلبية والمعانى (الشامخات) المرتفعات المنزهات عن الحدوث ولوازمه (لأنه لو لم يكن موصوفا) إلى آخر الأبيات إشارة إلى دليل استحالة أضداد الصفات الواجبة عليه تعالى ، وبيانه : لو لم يكن الله تعالى متصفا بالصفات الواجبة لاتصف بأضدادها ، ولو اتصف بأضدادها لكان محتاجا ، كيف والواحد المعبود لا يفـتقر لغيره ، جـل الغنى المقتدر على كل شىء وكل

(١) كما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » ص ٣٦ .

شيء إليه فقير .

* * كما جاء أيضا في (الدين الخالص) جـ ١ تحت عنوان:

الجائز في حق الله تعالى

ما نصه الذي نريد كذلك أن نفهمه ، وهو أنه :

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه ، فهو متفضل بالخلق والاختراع والتكليف والإنعام والإحسان لا عن وجوب ولا إيجاب. فلا يجب عليه شيء مما ذكر . ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ؛ إذ للمالك أن يتصرف في ملكه بما شاء . فهو الخالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلا منه وإحسانا . وهو الخالق للكفر والمعاصي والشقاوة والأمراض والفقر ونحو ذلك عدلا منه في مملوكه ، قال تعالى : ﴿ .. وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [1] وقال : ﴿ وربك يخلق ما يشاء

---

(١) البقرة : من الآية ١٠٥ .

ويختار ... ﴾[1] وقال: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[2] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ .. ﴾[3]. وقال: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ... ﴾[4] وقال: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[5]: فيجوز فى حقه تعالى عقلا (تعذيب) المطيع عدلا منه ؛ لأنه الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها. وإنما ينتفع بها العبد الذى وفقه الله لكسبها، (وإثابة) العاصى فضلا منه ؛ لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها، وإنما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلا منه، قال تعالى: ﴿ ... وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[6]، وقال ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[7]، وقال: ﴿ .. وَإِن تُبْدُوا۟

---

(١) القصص: من الآية ٦٨.

(٢) البروج: ١٦.

(٣) النحل: من الآية ٩٣.

(٤) الأعراف: من الآية ١٨٦.

(٥) الأنبياء: ٢٣.

(٦) الكهف: من الآية ٤٩.

(٧) فصلت: ٤٦.

مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [1] وقال : ﴿ ... إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴾ [2] .

وفى الحديث القدسى : « يا بنى آدم ما خلقتكم لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لِجرِّ منفعة ، ولا لِدَفْع مَضَرَّةٍ، بل خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتشكرونى كثيرا ، وتسبحونى بكرة وأصيلا . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ـ اجتمعوا على طاعتى ما زاد ذلك فى ملكى مثقال ذرة . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ـ اجتمعوا على معصيتى ما نقص ذلك من ملكى مثقال ذرة » .

(١) البقرة : من الآية ٢٨٤ .

(٢) إبراهيم : آخر الآية ١٩ ثم الآية ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) وهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد (ومن الجائز) رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقا للعادة بلا اتصال الأشعة به تعالى ولا كيفية ولا انحصار فى جهة ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢).، (ومن الجائز) إنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نزل إليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم المقيم، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ... ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ... ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿.. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) العنكبوت : ٦ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢ و ٢٣ .

(٣) آل عمران : الآية ٣ وجزء من الآية ٤ .

(٤) الكهف : من الآية ١ .

(٥) الفرقان : الآية ١ .

﴿ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]
وقال : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[2] .

هذا : ومما تقدم تعلم أنه يجب على مكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة . وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك .

* * وقد أشار صاحب الخريدة إلى الجائز فى حق الله تعالى، فقال :

وجائز فى حقه الإيجادُ
والترك والإشقاء والإسعادُ

ومعنى هذا البيت كما جاء فى (تهذيب شرح الخريدة) ، هو : (وجائز فى حقه) تعالى (الإيجاد) أى إيجاد الممكنات والإيجاد والخلق بمعنى واحد وهو تعلق القدرة بوجود المقدور ، فإن تعلقت بالحياة سمى إحياء ، وبالموت سمى إماتة ، وبالمرزوق سمى رزقا ، وهذه التعليقات هى المسماة بصفات

(١) النحل : من الآية ٨٩ .
(٢) النساء : من الآية ١٦٥ .

الأفعال ، وهى حادثة كما ترى ؛ لأنها عبارة عن التعلق التنجيزى للقدرة ، وهو حادث قطعا (والترك) أى ترك الإيجاد للممكنات، يعنى أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز فى حقه تعالى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، ومن ذلك بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ورؤية البارى تعالى ، وإثابة العاصى ، وتعذيب المطيع و (الإشقاء والإسعاد) أى إيجاد الشقاوة والسعادة ، وإنما نص عليهما وإن دخلا فى الإيجاد اهتماما بشأنهما .

* فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ وكن دائما وأبدا على صلة بهذا الإله العظيم عن طريق هذه المعرفة التى لابد وأن تكون على هذا الأساس العقائدى الذى وقفت عليه .

وذلك حتى تكون من هؤلاء الموحدين حقا ، وأعنى بهم الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروا الله تعالى فذكرهم ، فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1] .

(١) النور : ٣٧ .

وكانوا كذلك بسبب هذا من الذين عرفوا كيف يتضرعون إليه سبحانه وتعالى بشفافية إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق إيمانهم بالله تعالى وصلتهم الوثيقة به .

وحسبي حتى تتضح الصورة لنا أن أختم هذا الموضوع بقصيدة للأستاذ الشيخ الفاضل : إبراهيم بدوى ، نشرت بمجلة (الوعى الإسلامى)[1] وفيها يقول كلاما توحيديا من أرقى وأعظم ما قرأت فى هذا المجال الذى لا يستطيع أن يرقى إليه إلا من تذوق حلاوة المعرفة ..

فإليك هذه القصيدة بنصها ، تحت عنوان :

مع الله

بـك أستجير ومـن يُجير سواكا
فَأجِرْ ضعيفا يحتمي بِحِماكا

إنى ضعيف أستعين على قوى
ذنبى ومعصيتى ببعض قواكا

---

(١) العدد : ٥٤ .

أذنبت يارب وآذتني ذنو

ب ما لها من غافر إلاكا

دنياى غرتني وعَفْوُكَ غَرّنى

ما حيلتى فى هذه أو ذاكا ؟

لو أن قلبى شك لم يَكُ مؤمنا

بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يا مدرك الأبصار ، والأبصارُ لا

تدرى له ولِكُنْهِهِ إدراكا

أتراك عين والعيونُ لها مدًى

ما جاوزته ، ولا مَدَى لمداكا

إن لم تكن عينى تراك فإننى

فى كل شىء أستبين عُلاكا

* * *

يا منبـــت الأزهـــار عاطرة الشـــذا
هــذا الشــذا الفــواحُ نَفَـحُ شـَذاكا

يا مجرى الإنـــهار : ما جـــر يانــها
إلا انفعـــالة قطـــرة لنـــداكـا

رباه ، هأنذا خلصـت مـن الهـوى
واستقبل القلب الخـلى هــواكـا

وتـركت أنسـى بالحـياة ولهـوهـا
ولقيت كـــل الأنـس فى نجـــواكا

ونسيـــت حـبى واعتزلت أحبتـى
ونسيـت نفـسى خوف أن أنســاكا

ذقـــت الهوى مرا ولم أذق الهوى
يـــارب حـــلوا قبل أن أهـواكـا

أنا كنت يــاربى أســير غـشاوتى
وبـدأت بالقـــلب البـصير أراكـا

يـــا غافـــر الذنـــب العظيـــم وقابلا

للتـــوب : قَلْـــب تائـــب ناجاكـــا

أتـــرده وتـــرد صـــــادِقَ تـــوبـــتى ؟

حـــاشاك تـــرفض تـــائبا حاشاكـــا

يارب ، جئتـــك نادما أبـــكى عـــلى

مـــا قدمـــتْه يـــداى لا أتـــباكـــى

أنا لست أخـــشى من لقاء جهـــنم

وعـــذابـــها ، لكنـــنى أخـــشاكـــا

أخشى من العرض الرهيـــب عليك يا

ربـــى وأخـــشى منـــك إذ ألقـــاكـــا

* * *

يارب عـــدت إلى رحـــابك تائـــبا

مستســـلما مستمـــسكا بِـعـــرَاكـــا

مالى ومـا للأغنـياء وأنـت يـا
ربّ الغـنى ولا يُحَدُّ غنـاكـا ؟
مالـى ومـا للأقـوياء وأنـت يـا
ربـى ورب النـاس ؟ مـا اقـواكـا !
إنى أويـت لكـل مـأوى فى الحيا
ة فـمـا رأيت أعـز مـن مـأواكـا
وتلمست نفسى الـسبيل إلى النجا
ة فلم تجد منجى سـوى منجـاكا
وبحثت عن سـر الـسعادة جاهدا
فـوجدت هذا السر فى تـقـواكـا
فليـرض عنى الناس أو فليسخطوا
فلسوف لا أسعى لغـير رضـاكـا
أدعوك ياربى لتـغـفر حـوبتى
وتعـيننى وتمـدنى بـهـداكـا

فاقبل دعائى واستجب لرجاوتى
ما خاب يوما من دعا ورجاكا
يارب هذا العصر ألْحَدَ عندما
سخرت يارب له دنياكا
علمته من علمك (النووى) ما
علمته فإذا به عاداكا
ما كاد يطلق للعلا صاروخه
حتى أشاح بوجهه وقلاكا
واغتر حتى ظن أنّ الكون فى
يمنى بنى الإنسان لا يمناكا
أوما درى الإنسان أن جميع ما
وصلت إليه يداه من نُعماكا ؟
أو ما درى الإنسان أنك لو أرد
تَ لظلتْ الذرات فى مَخْبَاكا ؟

لو شئـت ياربى هـوى صـاروخـه

أو لو أردت لمـا استـطاع حِـراكـا

يأيهـا الإنســـان ، مـهـلا واتئـــد

واشكر لـربك فضـل مـا أولاكـا

واسجـد لمـــولاك القـدير فإنمـا

مستحدثات العـلم من مـــولاكـا

أفإن هـــداك بعلـمه لعَـجِيـــبـة

تَـزْوَرُّ عنه وينـــثـنى عِطْـفاكـــا

إن الـنـواة ولكـــترونـات الـتـى

تجرى يراها اللـــه حـــين يـراكا

ما كنـت تقوى أن تفـتـت ذرة

مـــنهـن لولا اللـه قـــد قواكا

* * *

كل العجـــائب صنعة العقــل الذى

هو صـــنعـة اللـــه الـذى ســواكا

والعقـــــل ليـس بمــدرك شــيئا إذا

ما اللـــه لـم يكتـــــب له الإدراكـــا

للّـــــه فـــى الآفـــاق آيـــات لَعَــ

ـلّ أقلها هو مـا إليـــه هـــــداكـــا

ولـــعـــل مـــا فى النـفس مـن آياته

عَجَبٌ عُجَابٌ لـــو تـرى عيـــناكـــا

والكـــون مشـحـون بـــأســـرار إذا

حاولت تفـســـيرا لـــهـــا أعـياكا

قل للطبـيب تخطـفته يــد الـردى :

يـا شـــافىَ الأمـراض من أرداكـــا ؟

قل للمريض نجا وعوفى بـــعــدمـا

عجـزت فنون الطب : من عـــافاكا ؟

قل للصحيح يمــوت لا مِــنْ عــلة

مَنْ بالمـنايــا يـا صحيـح دهــاكا ؟

قــل للبصيــر وكـــان يـحــذر حفرة

فهــوى بها : من ذا الذى أهــواكــا ؟

بل ســائل الأعــمــى خطا بين الزحا

م بــلا اصطدام : من يقــود خطاكا ؟

قل للجنــــين يعيــش مـعــزولاً بلا

راع ومــرعى : مــا الــذى يرعــاكَا ؟

قل للوليد بكــى وأجــهــش بالــبكا

ءِ لـدى الـولادة : ما الذى أبكاكا ؟

وإذا تـــرى الثــعبان ينــفــث سمه

فــاســأله : مــن ذا بالسموم حشاكا ؟

واسأله : كــيف تعيــش يا ثعبان أو

تحيــا ، وهــذا الســم يمـلأ فاكا ؟

واسـأل بطون النحل : كيف تقاطرت

شهدا ، وقل للشهد : من حـلاكا ؟

بـــل سائل اللبن المصـفى كان بَيْـ

ـنَ دم وفَرْثٍ : مـا الذى صَفَّـاكـا ؟

وإذا رأيـت الحى يخرج مـن حـــنا

يا ميـــت فاسأله : مـــن أحـــياكا ؟

قــل للــهواء تحسه الأيــدى ويــخـ

ـفى عن عيون الناس : من أخفاكا ؟

قل للــنبات يجــف بعـــد تعـهد

ورعـاية : مـن بالجـفاف رمـاكا ؟

وإذا رأيــت النبت فى الصـحراء يرْ

بُـو وحـده فـاسأله : مـن أرباكا ؟

* * *

وإذا رأيــت الــبـدر يســرى نـاشرا

أنـواره فـاسـأله : مـن أســراكـا ؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبـ

ـعد كل شىء : مـا الذى أدناكا ؟

قل للمرير من الثـمار : مـن الـذى

بـالمـر مـن دون الثـمار غـذَّاكا ؟

وإذا رأيـت النـخل مشقـوق الـنوى

فـاسـأله : من يا نَخْلُ شَقَّ نَوَاكا ؟

وإذا رأيـت النـار شـب لهـيبـها

فـاسأل لهـيب الـنار : مـن أوراكا ؟

وإذا ترى الجـبل الأشـم مـناطحـا

قـمم السحاب فسله : من أرساكا ؟

وإذا تـرى صـخرا تـفـجـر بالميـا

ه ، فسله : من بالماء شق صفاكا ؟

وإذا رأيـت الـنهر بـالـعـذب الـزلا

ل جرى فسله : مـن الذى أجراكا ؟

وإذا رأيـت البـحـر بالمـلـح الأجـا

ج طغى ، فسله : من الذى أطـغاكا ؟

وإذا رأيـت اللـيل يغشـى داجـيا

فـاسـأله : من يا لـيلَ حاك دجاكا ؟

* * *

وإذا رأيت الصبح يُسْفِر ضـاحـيا

فـاسأله : من يا صبح صاغ ضُحاكا ؟

هذى عجـائب طـالمـا أخـذت بـهـا

عيـناك وانـفـتحـت بـهـا أذنـاكـا

واللـه فى كـل العـجائب مـاثـل

إن لـم تكـن لتـراه فهـو يـراكا

يأيها الإنسـان ، مـهـلا ، مـا الـذى

بـالله جـل جـلالـه أغـراكـا

حـاذِرْ إذا تـغـزو الفـضاء فـربّـمـا

ثـأرَ الفـضـاء لـنفـسـه فـغـزاكـا

أُغْزُ الفـضاء ، ولا تكن مستـــعمـرا

أو مســـتـــغــــلا باغــيا سـَفَّاكـا

سَخِّرْ نشاط العلم فـى حقـل الـرخـا

ء يصـــغ مـن الذهـب النضار ثراكا

سخـــره يَمْـــلأُ بـالسـلام وبالتـعـا

ون عـــالما متـنـاحـرا سَفَّـاكـــا

وادفـع بـه شـر الحياة وســوءهـا

وامســـح بِنُعْـمَى نـوره بـؤْسَـاكـا

الـعــلم إحـــياءٌ وإنــشــاء ، وليـ

ــس العـلم تـدميـرا ولا إهـــلاكـا

فإذا أردت الـعلـم منحـرفا فـمـــا

أشـقـى الحـياة بـه وما أشـقـاكـا !

* وهكذا كـمـا رأيت ـ أخـا الإسـلام ـ يستطيع المؤمن الصادق فى حبه لله تبارك وتعالى أن يترجم حبه هذا ، بهذا التوحيد

الخالص الذى إن دل على شيء فإنما يدل على أن قائل هذا الفكر السليم قد عرف اللّه تعالى حق المعرفة ، وحسبه هذا ؛ لأنه كما يقول أحدهم :

مـن عــرف اللـه فــلم تغـــنـه

مـــعرفة اللـه فـــذاك الشـــقـــى

فلتكن إن شاء اللّه تعالى من أهل المعرفة حتى تكون من السعداء لا من الأشقياء .

واللّه ولى التوفيق ،،

خادم القرآن والسنة

طه عبد اللّه العفيفى

وختاما أخا الإسلام :

وبعد أن وقفت معى على تلك الأساسيات العقائدية الهامة التى كان لابد وأن نقف عليها بوصفنا مؤمنين بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ـ أرجو أن تكون مؤكدا لكل هذا بالتوحيد الخالص ، الذى ينبغى أن يكون منزها عن الانخراط فى (سلك) الفرق الضالة التى منها [1] :

* المعتزلة : التى كان احتكامها فى البدء إلى الرأى المجرد دون النقل ، وإلى الفلسفة دون النبوة ، ثم سرعان ما جنحوا إلى لوثة تجردية موغلة فى الضلال أفضوا منها إلى متاهات الزيغ والإلحاد ، وإن كان بدأ أمرهم بالرد على النصارى والفلاسفة اليهود .

* والخوارج : وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة يقال لهم الحرورية نسبة إلى موطنهم الأول حروراء وهى بلدة بظاهر الكوفة .

كما يقال لهم الشراة نسبة إلى ما زعموه أنهم شروا أنفسهم من الله .

---

(١) كما جاء فى مقدمة الكتاب (العلو للعلى الغفار) للأستاذ المراجع لأصوله : عبد الرحمن محمد عثمان .. بتصرف .

كما يقال لهم النواصب نسبة إلى الناصب أو الناصبى الذى غلا فى بغض على رضى الله عنه ، ونصب نفسه لحربه .

وبدأ أمرهم بخروج عبد اللّه بن الكواء اليشكرى عن طاعة أمير المؤمنين عَلِىّ بعد أن كان من قواد جنده وأهل النجدة والبأس من رجاله ، وتلاه شيث ابن ربعى ، وكان من قواد على أيضا ، وهو الذى جمع الخوارج ووحد صفوفهم .

ويجمع الخوارج ـ على اختلاف طوائفهم ـ على إكفار عثمان وعلى والحكمين [1] ومن رضى بالتحكيم أو بأحد الحكمين ، وإكفار مرتكب الذنوب والخروج على السلطان الجائر.

ومن فرقهم :

* الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى ، وهم أشد فرقة فيهم بأسا ، وأكثرهم عددا ، قالوا : كل صاحب ذنب مشرك .

* النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، قالوا : من نظر نظرة أو كذب كذبة ـ ولو صغيرة ـ فأصر عليها فهو مشرك ، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم إن كان على

---

(١) وهما عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى .

مذهبهم .

* الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر قالوا : كل ذنب ليس فيه حد فهو كفر وصاحبه كافر ، ووافقوا جملة ماقالته الأزارقة .

* أما الغلاة : فقد قالوا بإلاهية على والأئمة وأسقطوا الفرائض وأباحوا المحرمات وقلدوا السبئية عليهم لعنة الله .

* أما المعتزلة : فقد غاصوا فيما لا نجاة لهم من بحوره ، فما يتعلق أحدهم بقشة حتى تصرعه لجة ، وما يخلص من أحبولة حتى يقع فى أحابيل ، تفرعوا إلى حوالى عشرين طائفة اتفقت كلها على نفى صفات البارى سبحانه جل جلاله وأنه ليس له (سبحانه) علم ولا قدرة ولا إرادة ولاسمع ولابصر ولا حياة ، الخ، واتفقت طوائفهم على أن الله ـ سبحانه ـ لا يرى نفسه ولا يرى شيئا ، سبحانه عما يقولون وتعالى علوا كبيرا :

* ومن طوائفهم الواصلية : أتباع واصل بن عطاء .

* ومن طوائفهم الهذيلية أتباع العلاف ، والنظامية أتباع ابن يسار ، كان أبو الهذيل العلاف خاله .

* ومنهم المعمرية : أتباع معمر بن عباد .

* ومنهم البشرية : أتباع بشر بن المعتمر ، وله أراجيز تبلغ أربعين ألف بيت فى وصف ونصرة مذهبه فى الاعتزال .

* ومنهم الإسكافية : أتباع محمد بن عبد الله الإسكافى ، ويزعم قدرة الله على ظلم الأطفال دون الكبار .

* ومنهم الثمامية : أتباع ثمامة بن أشرس النميرى مولاهم .

* ومنهم الجاحظية : أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهوضال مفسد حسن البيان ، أظهر القول بخلق القرآن ، واستحدث القول بالجوهر والعرض ، واختلق الكلام فى الصفات : أهى نفس الذات أم بائنة عنها . وعارضه وأضرابه بعضُ مثبتى الصفات فَغلاَ بعضهم حتى صاروا إلى التشبيه والتجسيم .

* ومنهم الجبانية : أتباع أبى على الجابى ، وفرقهم كثيرة موغلة فى الضلال والزيغ والإلحاد .

* ومثلهم البهشمية : أتباع أبى هاشم وابنه ، وقد خالف أباه فى تسع وعشرين مسألة ، تماما كما خالف أبوه شيخه أبا الهذيل العلاف فى قرابة العشرين مسألة .

* * أما الفرق الأخرى ذوات المقاصد الخبيثة التى عملت على إفساد عقائد المسلمين فمنهم :

* المرجئة : الذين قالوا : ليس لله على عباده فريضة إلا الإيمان ، ومن آمن فقد عرفه ، ومن عرفه فليفعل ما يشاء .

والإيمان عندهم هو الإقرار بالشهادتين فقط ، وسموا المرجئة لأنهم أرجئوا العمل والطاعات ، أى أخّروها عن الإقرار . والفرائض عندهم ليست عبادات بل طاعات ، صاروا إلى خمس فرق ، منها المريسية أتباع بشر المريسى الذى يقول : إن السجود للصنم ليس بكفر، إنما هو دليل على الكفر وإن القرآن مخلوق .

ومنهم السيبائية الذين يقولون بأن الله سيب خلقه ليعملوا ماشاءوا .

* والجهمية : قالوا : إن الله سبحانه لا يعلم ما يكون ، وإن كلام الله وعلمه حادث وإنه لا فعل لأحد غير الله ، وأفعال البشر اضطرارية ، وهم أتباع جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم أول زنديق أظهر بدعة القول بخلق القرآن .

والجهمية صاروا إلى طوائف كثيرة ، منهم المعطلة ، والزنادقة الذين يقولون لا رب مادام يدرك بالحواس ، وكل ما يدرك بالحواس فهو مخلوق فليس برب .

* والجبرية : الذين ينسبون الفعل كله لله ، وينفون عن الخلق الكسب والاستطاعة ، وقد صاروا إلى طوائف منها : النجارية زعموا أن الله يعذب الناس على فعله لا فعلهم .

ومنها السابقية قالوا : السعيد لا تضره ذنوبه ، والشقى لا تنفعه طاعته .

* والكرامية : أتباع محمد بن كرام ، قالوا : إن معبودهم محل للحوادث، وإنه جسم له حد واحد من الجانب الذى على العرش ، ولا نهاية له من الجانب الآخر . وهم يرون التلفظ بالشهادتين كافيا ولو مع بقاء النفاق والزندقة فى القلب ، وإن الله له ثقل تنفطر منه السماء .. الخ ، وسوى ذلك من المقالات التى بلغت غايات الشناعة ، لعن الله قائليها لعنا كبيرا .

* * وقد قرأت أن صبيغ بن عسل من أهل مصر ذهب إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه يسأله عن تفسير قوله تعالى:

« الرحمن على العرش استوى » فيقول له : ليس عندى علم ذلك ، وإنى مرسلك إلى من عنده علم ذلك ، ويبعث به إلى عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه ومعه كتاب يقول فيه : ياأمير المؤمنين إن هذا الرجل يسأل عن متشابه القرآن .

فلما قدم الرجل وقرأ عمر الكتاب غضب حتى استبان فى وجهه الغضب ، وقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد اللّه صبيغ . فقال وأنا عبد اللّه عمر، وقام إليه يضربه بِعَرْجُون النخل حتى أدمى رأسه. فيقول صبيغ : حَسْبُكَ يا أمير المؤمنين ، قد ذهب واللّه الذى كنت أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة ، وأمر أن يهجر سنة فلا يكلمه أحد .

وكان على رضى الله عنه يقول : لو وجدت رجلا من أهل القدر لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه ؛ فإنهم يهود هذه الأمة .

* * فلاحظ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ حتى تحذر الوقوع فى كل تلك الفتن .. وحسبك أن تكون كالإمام فخر الدين الرازى الذى قال فى كتابه : « **أقسام الذات** » بعد أن مر ببعض التجارب

الفكرية التى كادت أن تفتنه، لولا لطف الله به :

نـهـايةُ إقــدام الـعـقــول عـقـــالُ.
وغـايـة ســـعْـيِ العـالمـين ضـــلالُ

وأرواحنَا فى وحـشة مـــن جسـومـــنا
.وحـــاصـــلُ دنيـــانـا أذًى ووبـــالُ

ولم نستفد من بحثنا طـــول عمــرنـا
ســـوى أن جـمعـنا فيـه قيـل وقالـوا

ثم يقول فيه : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى غليلا ،ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، أقرأ فى الإثبات : « **الرحمن على العرش استوى** » و (**إليه يصعد الكلم الطيب**) وأقرأ فى النفى (**ليس كمثله شىء**) ، (**ولا يحيطون به علما**) ومن جرب تجربتى عرف مثل معرفتى .

* * أسأل الله تعالى أن يقينى وإياك شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يجعلنى وإياك من أهل التوحيد الخالص ، آمين.

مراجع الكتاب

* القرآن الكريم ٠

* مختصر تفسير الإمام الطبرى .

* رياض الصالحين ـ للإمام النووى .

* الدين الخالص ـ للإمام محمود خطاب السبكى .

* منهاج المسلم ـ للإمام أبى بكر الجزائرى .

* رسالة التوحيد ـ للإمام الشيخ محمد عبده .

* الفتاوى الأمينية ـ للإمام أمين محمود خطاب السبكى .

* هذه دعوتنا ـ للإمام عبد اللطيف مشتهرى .

* فقه السيرة ـ للشيخ محمد الغزالى

* مع الله ـ نظرات فى الكون والحياة ـ للأستاذ عبد الجواد رجب .

* للكون إله ـ مدخل إلى التوحيد ـ للشيخ عبد العزيز كامل الشهابى .

* تهذيب شرح الخريدة – فى علم التوحيد – للأستاذين حسن السيد الهوبى ، أحمد الطنطاوى جميل .
* البحوث الدينية (التوحيد) – للأستاذين : يوسف مصطفى الحمادى ، محمد محمد الشناوى .
* شرح أحكام الإسلام – للعلامة الشيخ عبد العزيز النابلسى .
* مذكرات التوحيد – لفضيلة الشيخ عبد الرحيم مكى .
* منهاج الصالحين – للأستاذ عز الدين بليق .
* وصايا الرسول ﷺ – للشيخ طه عبد الله العفيفى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

كما سيرى الأخ المسلم .. يدور حول موضوع من أهم الدروس العقائدية .. ألا وهو : (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى) .

● ولسوف يتأكد للأخ المسلم بعد قراءته أنه كان من الواجب عليه أن يدرسه ويقف على تفاصيله .. حتى يعرف الله تعالى حق المعرفة .. وحتى يطمئن كذلك على عقيدته .. وذلك من خلال تلك الأدلة والبراهين الساطعة التى سيكون بسبب معرفتها إن شاء الله من أهل العقيدة الصحيحة .. (عقيدة أهل السنة) التى سيقف عليها فى هذا الكتاب ..

● هذا بالإضافة إلى أنه سيقف كذلك على تعريف الإيمان والإسلام وبيان المذاهب فيهما .. مع الإشارة فى ختام هذا الكتاب إلى بعض الفرق الضالة التى نسأل الله تعالى أن ينجينا منها ومن ضلالها ... اللهم آمين ،،

الناشر

الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH
PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P O Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO